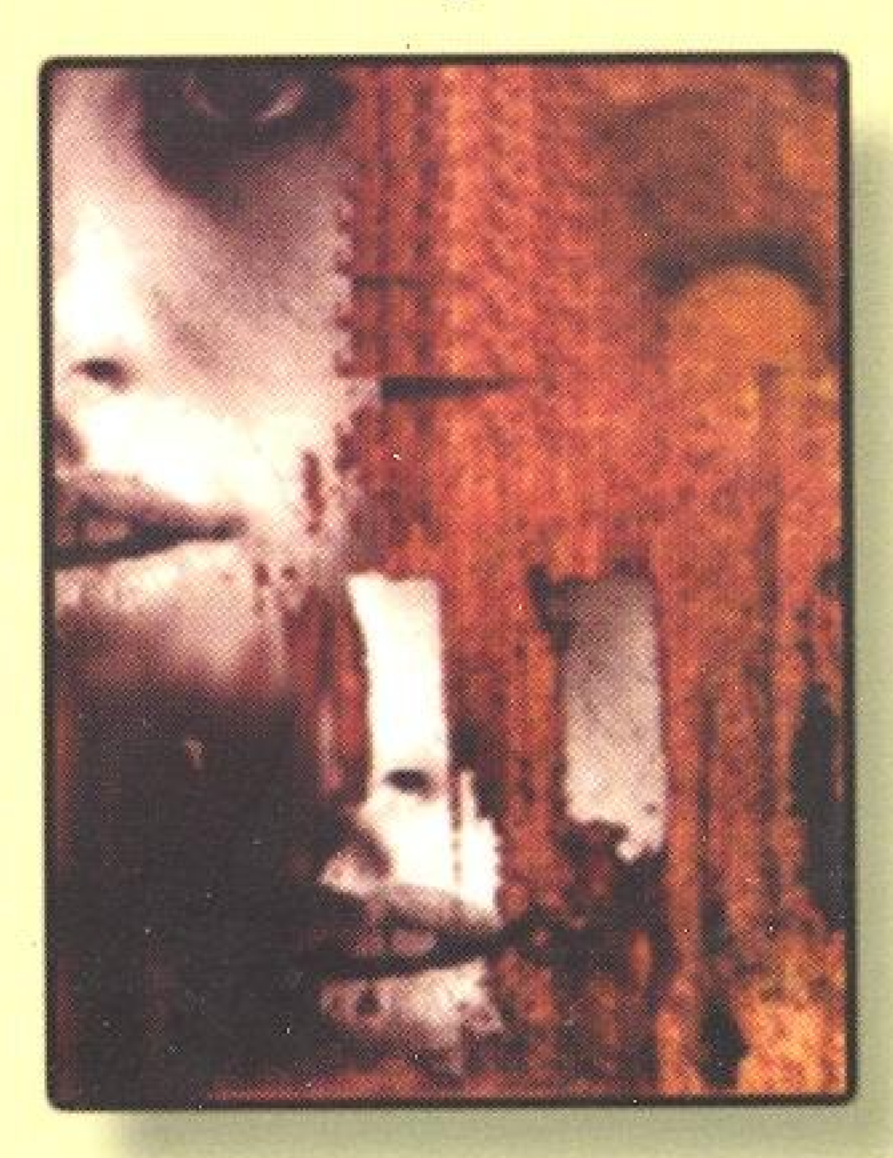
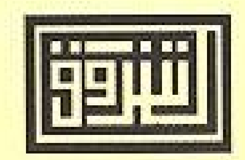
د. عيسى برهومة

اللغة والجنس

حفريات لغوية في الذكورة والأنوثة

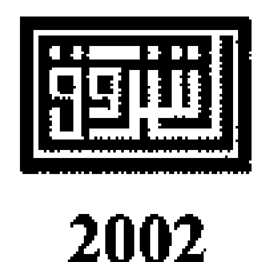




اللغة والجنـس

حفريات لغوية في الذكورة والأنوثة

د. عيســى برهومــة



2002

رقم التصنيف: 410

المؤلف ومن هو في حكمه: الدكتور عيسى برهومة

عنوان الكتاب: اللغة والجنس: حفريات لغوية في الذكورة والأنوثة

الموضوع الرئيسي: 1- اللغة العربية

2- قواعد اللغة

رقم الإيداع: 2002/8/2057

بيانات النشر: عمان: دار الشروق

- تم إعداد بيانات الفهرسة الأولية من قبل المكتبة الوطنية.

ISBN 9957-00-209-0 (ردمك)

- **اللغة والجنس: حفريات لغوية في الذكورة والأنوثة**
- **الدكتور عيسى برهومة**
- **الطبعة العربية الأولى: الإصدار الأول، 2002.**
- **جميع الحقوق محفوظة.**



دار الشروق للنشر والتوزيع

هاتف: 4618190/4618191/4624321 فاكس: 4610065

ص. ب: 926463 الرمز البريدي: 11110 عمان- الأردن

دار الشروق للنشر والتوزيع

رام الله: المنارة- شارع المنارة- مركز عقل التجاري هاتف 02/2961614

نابلس: جامعة النجاح- هاتف 09/2398862

غزة: الرمال الجنوبي قرب جامعة الأزهر هاتف: 07/2847003

- **لوحة الغلاف للفنان: زهير شعوني.**
- التنضيد والإخراج الداخلي وتصميم الغلاف وفرز الألوان والأفلام:

دائرة الانتاج/ دار الشروق للنشر والتوزيع

هاتف: 4618190/1 فاكس: 4610065/ ص.ب: 926463 عمان (11110) الأردن

E-mail: shorokjo@nol.com.jo

المحتويات

تصديـــــر

بقلم الدكتور نهاد الموسى
أستاذ العربية في الجامعة الأردنية

اللغة مرآة المجتمع، والمرأة نصف المجتمع، فهل كانت اللغة مرآة للمرأة؟ وهل أنصف المجتمع نصفه؟

اللغة مرآة، والمجتمع كيان إنساني مثقل بالإرث الثقافيّ وصيرورة البنى الفوقية كالاقتصاد والتشريع.

قد تبدو اللغة محايدة إذ تجعل (الجُبْن) مذكّراً وتجعل (الشجاعة) مؤنثاً، كما تجعل (السفاهة) مؤنثاً و (الحِلْم) مذكّراً.

واللغة نظام من العلاقات يقصد إلى الفرق والإبانة كما في تمييز (الظريف) عن (الظريفة) و (الكريم) عن (الكريمة) بالتاء، ولكن المجتمع قد يجعل (معاوية) المذكّر على لفظ المؤنّث، ويجعل (سعاد) المؤنث حقيقة على غير صيغة المؤنّث فتَمَثّل اللغة لذلك. فإذا اختصّ اللفظ بالمؤنّث جاء دون علامة التأنيث كما في (كاعب) و(ناهد) لأن مقتضى اللغة الإبانة في الدلالة على المقاصد.

وتقول اللغة كما يرى سيبويه: جاء الرجال والنساء قبلُ، فلا يجعل للرجال منزلة يكونون بها أولى من النساء، ولكن المجتمع يرى في الترتيب أفضليّة المقدّم في اللفظ وَفْقًا لِعُرْفٍ خارج عن نظام اللغة.

وإذا خاطبت اللغة جمعاً حاشداً من النساء فيه رجل واحد بضمير جماعة المذكّر فاستَطْلَنَ فيها تحيّز واضح أمكنتنا اللغة نفسها –إن شئنا– أن نعبّر عن الزوجين الذكر والأنثى بمثل قول امرئ القيس فنقول: قِفا نبكِ! فنلوذ

بخطاب المثنّى نوجّهه توجيهاً يرفع التحيّز رعاية لمشاعر الأغلبية في مثل هذا الموقف.

وإذا رسم المجتمع للمذكّر دوراً مركزياً ليقرأ ويسافر ويعمل وجعل المؤنّث على الهامش (تطبخ) فإنّ اللغة لن تأبى علينا أن نوزّع الأدوار بالحق والإنصاف فنقول (تقرأ) كما نقول (يقرأ) ونقول (تعمل) كما نقول (يعمل).

اللغة مؤنّثة، والثقافة مؤنّثة، والمجتمع مذكّر، فأيّها محايد؟ وأيها متحيّز؟ وهل من سبيل إلى التدخل في اللغة لنفي التحيّز الخارج عن مقتضى الإبانة؟ وهل يكون التدخّل في النظام اللغويّ وحده تدبيراً كافياً لنفي التحيّز الثقافيّ أو الاجتماعيّ؟

في هذه القضية الشائكة حقـاً يأتي هذا الكتاب رحلة شائقة في عوالم الاجتماع الإنساني عبر الزمان والمكان يتحرّى صورة المرأة في تلك العوالم ولغاتها وثقافاتها ويقف باعتناء خاصّ إلى صورة المرأة في العربية وثقافتها.

إنّ هذا كتاب رائد في حقل بَيْنِيّ ما يزال في الدراسات العربية بِكْراً. وهو يجري، في صورة التعبير، ببيان يليق به من الألَق والأناقة، وينطلق، في مضمونه، بجرأة حذرة متوازنة الخطى على هذا الدرب السديميّ الذي تتدافع فيه الرؤى وتتقاطع المُنى.

مُقَدِّمَة

في البَدْء كانت الكلمة، وفي النهاية تكون الكلمة، وفيما بين البدْء والخاتمة، ظل الإنسان يتوق إلى وسيلة توفّر له التخاطب والتواصل لتحقيق ماهيّة الاجتماع البشري، فكانت اللغة ضالته، فشُغل بها وأودعها عنايته ووُكْده، وعدّ معرفة كُنْهها جزءاً من سعيه لمعرفة ما التبس عليه من أسرار الوجود، فَغَدَتْ موضوعاً أصيلاً من موضوعات الفلسفة الإنسانية.

لم تكن اللغة مُنْذ تَخلُّقها من صنيع فرد، إنما مواضعة جماعية يتواطأ على تمثلها الأفراد، فهي ظاهرة اجتماعية أودعها مِراس الكلام في الجمهور، تتبلّر في تلافيف المجتمع. وبالتالي تغدو المعطيات الاجتماعيةُ الخلفية التي يَتعيَّن الرجوع إليها لتحديد ما نرومه من الكلام، وتمييز الفئات الاجتماعية التي تُوظِّف السلوك اللغوي في مناشط الحياة المُتَراحبَة. إذ إنَّ هذا السلوك مطيّة الأفراد في حياتهم العامة والخاصة، وهو المرآة الكاشفة عن هوية الأفراد وبيئاتهم وفئاتهم المختلفة.

والفرد في ممارسة السلوك اللغوي مشروط بالنظام الاجتماعي الذي يُحدّد الاختيارات اللغوية في عملية التفاعل الاجتماعي، وبالتالي فإنّ تلك الشروط الاجتماعية والثقافية تُحدّد معايير السلوك اللغوي ونماذجه الاجتماعية المقبولة.

ترجع صلتي بمسألة اللغة والجنس إلى بضْع سنوات خلَتْ، فقد استوقفتني الأسفارُ التي انبرت لبحث التذكير والتأنيث، إذ حظيت هذه المسألة بما لم تحظ به كثيرٌ من مسائل اللغة تقريراً وتصنيفاً. ولعل هذه الوَفْرة في درس المسألة قديماً وحديثاً سكَبَ في النفس رغبة للوقوف إلى أمارات المسألة.

ظلّت مسألة اللغة والجنس تأخذ بنياط فكري، فرغبتُ في أن أواصل بحث المسألة من وجهة اجتماعية، ولا سيّما بعد أن اطلعتُ على مصنفات في

علم اللغة الاجتماعي، فاستقرّ في النفـس هاجس أن ألجَ إلى دراسة "اللغة والجنس في السياق الاجتماعي"، ومما قوّى العزم فيّ أنّ مسألة اللغة والجنس تَستَعِلن في فضاء التثاقف والبحث في الفكر النقدي المعاصر، بعد نهوض الحركات النسوية في العالم الحديث، فراحت هذه الحركات ومناصروها من منظمات حقوق الإنسان تدعو إلى ترسيم علاقات عادلة بين الأعراق والفئات المستثناة من القوة Powerless كالعبيد، والنساء، والأطفال. واستشعرت الحركات النسويّة ومنظمات حقوق الإنسان أنّ ثمة تحققات لغوية تنطوي على قَدْر من التحيّز للذكور، واختزال للحضور الأنثوي، فانبرتْ لتسليط الضوء على أشكال التحيّز، وسبل تعديله. وتطلّعتْ إلى لغة مُحايدة تُمثّل الجنسين بنَصَفَة.

إنّ هذا الفيض من العناية بموضوع اللغة والجنس من أنظار معرفية متنوّعة، دفعتْ بي إلى استقراء المسألة في العربية، لأنّ جُلّ ما كتب في السلوك اللغوي واختلاف الجنسين كان بلغات أجنبية، أو طُبّق على لغات أجنبية، ولم تحظَ العربية بدراسة مستقلة للمسألة من وجهة اجتماعية فيما انتهيتُ إليه من بحث واستطلاع.

صدرتُ في دراستي هذه عن حُزْمَة من المعطيات، نحو: الأثر الاجتماعي في السلوك اللغوي، وحقيقة الفروق بين الجنسين، والتحقّق من التحيّز اللغوي في العربية، ودراسة الخصائص اللغوية بين الجنسين، والعوامل التي تُسهم في تشكّلها.

ورمتُ من هذه الدراسة استشفاف العلاقة بين اللغة والمجتمع، واختبار المقولات التي تعاورتْ موضوع اللغة والجنس، وتوظيف معطياتها في دراسة العربية.

آنستُ في هذا البحث منهجاً لغوياً اجتماعياً؛ لاستجلاء السياق الاجتماعي الذي تحدث فيه النشاطات التفاعلية للغة، وتلمّس العلاقة المستكنة في اللغة والتنظيم الاجتماعي.

وقد أمحضتُ وسْعي لأقيم البحث على طريقة مستقيمة، فأفدتُ من معطيات هذا العلم الحديث بلُطف العناية، وسخَّرتُ كثيراً من هذه الأنظار لاكتناه مشكلة البحث مقاربةً وتقريراً.

ولقد حَرَصتُ على أن ألمع إلى البحوث والدراسات التي أُجريتْ على اللغات الأخرى؛ لظني أنّ هذه الإشراقات تُفضي إلى تراحُب الرؤى، علاوة على أنها تُغني الدرس اللغوي في العربية؛ لنَزْرة التصانيف التي تواردت على بحث هذا المُشكل.

ويُستَشْعَر مما تمّ عرضه من دراسات في مسألة "اللغة والجنس"، أنّ هذا المُشكل يعتوره أضرب من العلوم والفنون، كلٌ يأخذ منه بطرف في تناوله ومداولته. وقد ارتأيتُ أن أنتحي وُجْهة تتقاطع مع هذه الدراسات في بعض مسالكها، وتنهج شِرْعَة مباينة في دروب أخرى.

ولأنّ المسألة التي أحاورها قضية جوهرية تمتدُّ في الزمان والمكان؛ تعيّن هذا العرض الذي يتجاوز الفواصل الزمانية والمكانية، لأنّ المسالة التي نَعرضُ لها ضاربة في أطناب الماضي، وممتدة في آفاق الحاضر؛ ولعل ذلك أفضى بي إلى المراوحة بين المتقادم والحادث عرضاً، وتحليلاً، ومقاربة. فحَرَصتُ في هذه الدراسة على تنوّع المصادر والمراجع التي تمدُّ خيوطها إلى زُمْرَة من المعارف، وتستدعي أنظار القدماء والمحدثين في بحث المسألة.

توزّعت الدراسة على ثلاثة أبواب:

- حاولتُ في ***الباب الأول*** أن أستجلي مكانة اللغة في المجتمع، وأن أتلمس مُسوّغاً منهجياً للعلاقة المتحصّلة بين العامل الاجتماعي والسلوك اللغوي.

وفرغتُ في ذلك إلى دراسة البنى الاجتماعية وأهميتها في تشكيل ذواتنا، وعرضتُ لأنظار المشتغلين في توصيف اللغة والمجتمع.

- وفي الفصل الثاني من هذا الباب ألمحتُ إلى التجلّيات الاجتماعية في السلوك اللغوي للجنسين؛ لاستبار التفاعل اللغوي مع العوامل الخارجية الراشحة في الاستعمال.

- ***في الباب الثاني*** عرضتُ لنظرة اللغة إلى الجنس، فعاينتُ المسألة في النظام اللغوي، لاستجلاء تصنيف الجنس في العربية، وهل كان هذا التصنيف متّسقاً والجنس الطبيعي؟ وتتبعتُ موقف الباحثين في هذه المسألة التي أشْكَلَت عليهم قديماً وحديثاً.

ولم يكن بُدٌّ من أن أتوقف عند مسألة الثقافة واللغة والتحيُّز؛ إذ إنّ الثقافة تُعَدُّ المرآة الصادقة التي تعكس صورة واضحة لما عليه أفراد المجتمع من قيم، ونُظُم، وعادات، وتقاليد، واتجاهات.

ويؤثِّر التطور الثقافي والحضاري لأي أمة تأثيراً بالغاً في مدلولات الألفاظ، إذ تَنْتَحي بها وُجْهَة معينة قد تبتعد قليلاً أو كثيراً عن طفولتها الأولى.

وتوجّهتُ لاستشفاف الصلة الناظمة بين الثقافة واللغة. وارتباط ذلك بالتحيُّز عَبْــرَ تحقُّقات اللغة، كالنحو، والدلالة، والمتعيِّن الشِّفاهي.

- ثم تناولتُ ***في الباب الثالث*** الخصائص اللغوية للجنسين، فعرضتُ لمستويات اللغة؛ لاستقراء الخصائص اللغوية، وقد صَدَرْتُ في استصفاء هذه الخصائص عن الفرضيات التي أودعها الدارسون والدارسات في موضوع البحث.

وأقفلتُ البحث بزُمْرَة من الأنظار مستصفاة.

وشفّعتُ البحث بلَحق انطوى على استقراء الصفات المحمودة والمذمومـــة للجنسين، في إضمامة من مُعْجَمات المعاني.

وآمل من بعد ذلك أنْ يكون البحث مساهمة في الدرس اللغوي الاجتماعي، ودافعاً لدراسات تتوسّل اللغة لاكتناه السياق الاجتماعي والثقافي.

الباب الأول

أثر العامل الاجتماعي في السلوك اللغوي

- الفصل الأول : اللغة في المجتمع.
- الفصل الثاني: تجليات العامل الاجتماعي في السلوك اللغوي للجنسين.

اللغة في المجتمع:

الإنسان مدني بالطبع، يرتبط بالجماعة ليقيم أوَدَ حياته، ويمنح عيشه السيرورة والبقاء، لذا تطلّع إلى إقامة العلاقات مع الآخرين، وتفاعل مع محيطه لتحقيق غاية الاجتماع البشري، فليس بمكنة الفرد وحده أن يحقق مفهوم المجتمع بالمتعيّن التواصلي والتعاوني.

فما بَرِحَ الأفراد يفكرون في وسيلة لتحقيق التواصل بينهم، وبذلوا الوُكد لاجتراح أسلوب يتخاطبون عَبْرَه، فكانت اللغة ضالتهم في هذا البحث الشاق.

لذا علل (مسكويه) اللجوء إلى اللغة بالسعي لتحقيق الاجتماع الإنساني؛ لأنّ الفرد وحده عاجز عن توفير حاجاته:

"إنّ السبب الذي احتيج من أجله إلى الكلام أنّ الإنسان الواحد لما كان غير مكتف بنفسه في حياته، ولا بَالغ حاجاته في تتمة بقاء مدته المعلومة وزمانه المقدّر المقسوم، احتاج إلى استدعاء ضروراته في مادة بقائه من غيره، ووجب شريطة العدل أن يعطي غيره عِوَض ما استدعاه منه بالمعاونة..."[1].

فللغة أثرها في مناشط الحياة المتنوعة، وهي وليدة حاجات الفرد والجماعة، ولعل هذا ما دعا أصحاب نظرية (Yo-He-Ho) إلى تفسير نشأة اللغة بأنها: "أصوات جماعية صدرت عن مجموعة من الناس في أثناء قيامهم بعمل شاق يحتاج إلى تعاون على أدائه، وأكدوا أنّ اللغة نشأت حين اجتمع الإنسان مع غيره، ولم تنشأ وهو منعزل عن غيره من البشر"[2].

---

[1] مسكويه: الهوامل والشوامل، ص 6.

[2] إبراهيم أنيس: دلالة الألفاظ، ص 26.

ومن المتعارف عليه بين دارسي العلوم الاجتماعية أنّ كثيراً من الأحداث الاجتماعية تبدأ فردية ثم لا تلبث أن تَشيع بين عدد من الأفراد، ثم يتسع نطاقها فتتخذ صفة الجماعية.

فنحن لا نبتكر شيئاً – كما ذكر (بيار أشار) – "حين نعترف بأنّ النشاط الإنساني يتجلى في الإطار الاجتماعي"[1].

لم تنشأ اللغة بتخطيط مُفْرَد، وإنما بمواضعة اجتماعية تُعمَّم على الأفراد، فلا فَكَاك من إقصاء العامل الاجتماعي في إنتاج اللغة وفهم ماهيتها، فهي ربيبة المجتمع، وبين ظهرانيه تخلّـقت كما قرّر فندريس:

"في أحضان المجتمع تكونت اللغة، ووجدت يوم أحس الناس بالحاجة إلى التفاهم فيما بينهم. وتنشأ من احتكاك بعض الأشخاص الذين يملكون أعضاء الحواس، ويستعملون في علاقاتهم الوسائل التي وضعتها الطبيعة تحت تصرفهم.

فاللغة بمعناها الأوفى تنتج من الاحتكاك الاجتماعي، ولهذا صارت من أقوى العُرَى التي تربط الجماعات، وقد دانت بنشوئها إلى وجود احتشاد اجتماعي"[2].

وعلى الرغم من أنّ اللغة ظاهرة اجتماعية، إلا أنّ بعض اللغويين أنكر هذا الارتباط بين اللغة والمجتمع، لذا ينبغي أن تُدْرَس اللغة في واقعها الذهني، ومن هؤلاء اللغويين هيرمان بول (Hermann Paul) الذي يرى "أنّ اللغة الجماعية ليست إلا خليطاً من الكلام الفردي الذي لا يؤخذ به. واللسان هو مسار خاص يتطور عند كل فرد، وبالتالي ليست هناك فائدة من دراسة

---

[1] بيار أشار: سوسيولوجيا اللغة، ص 13.

[2] فندريس: اللغة، ص 35.

التغير اللغوي اجتماعياً، لأن هذا التغير يتطور بشكل مستقل ومختلف باختلاف الأفراد. ويخلص من ذلك أنّ الفرد يمكن أن يمثل الجماعة ... "[1].

وينضم إلى مذهب (لا اجتماعية اللغة) نفر من اللغويين، نحو: سويت (Sweet) ومدرسة براغ، وتروبتسكوي (Troubetzkoy)، ومارتينيه (Marttinet)، وعالم اللغة الأمريكي بلومفيلد (Bloomfield) الذي أقام نظريته في اللغة على المثير والاستجابة الكامنين في الفرد وليس في الجماعة اللغوية.

كما أنّ تشومسكي (Chomsky) أهمل العامل الاجتماعي في نظريته اللغوية (التفريعية – التحويلية) وافترض وجود سامع مثالي غير متأثر بالتنوعات الكلامية في المجتمع.

ولكن هذه الأنظار اللغوية لم تلقَ ارتياحاً لدى اللغويين الذين يؤكدون اجتماعية اللغة، ويرون أنّ تنحية الأثر الاجتماعي في دراسة اللغة يُعَدُّ انحرافاً عن الدراسة العلمية للغة.

انتقد مييه (Meillet) مفاهيم دي سوسير اللغوية، "ونعتها بأنها ناقصة ومجتزأة؛ لأنها لا ترى في اللغة إلا واقعاً ذهنياً غير متأثر بالعناصر الاجتماعية التي لا يمكن دراسة أي لغـــة بمَعْزل عنها ... "[2].

واعترض هدسون (Hudson) على المدرسة التفريعية – التحويلية؛ لرؤيتها المجردة للغة، ورأى أنّ "أي محاولة لتفسير الظواهر اللغوية المختلفة دون الرجوع إلى المجتمع – وذلك ما قامت به المدرسة التفريعية التحويلية بفروعها كافة– إنما هي محاولة عبثية تنطوي على مثالية متطرفة، ولن تؤدي

---

[1] طلال طعمة: علم اللغة الاجتماعي أم الألسنية؟، مجلة الفكر العربي المعاصر، ع(7، 8)، ص 12].

[2] See. The Main Trends in modern linguistes English by Murice Leroy.(Translation. By G.price). p.p 93-99.

هذه المحاولة إلا إلى إجداب الدارسات اللغوية، فاللغة سلوك اجتماعي يحدده المجتمع في المقام الأول"[1].

وتوجّه عالم اجتماع اللغة هايمز (Hymes) بالنقدإلى البحث اللغوي الحديث؛ لإهماله المعطيات الاجتماعية في اللغة، "ورمى علم اللغة بالتقصير لتركيزه على الشكل اللغوي مجرّداً، أو منفصلاً عن العناصر المؤثرة فيه، مع أنّ صلة اللغة بالمجتمع وثيقة، وتأثرها بمعطياته ومكوناته أمور لا جدال فيها"[2].

ومن أنصار المدرسة الاجتماعية جاردنر (Gardener) الذي أكّد العنصر الاجتماعي في اللغة "فمن العبث أن نقول: إنّ هدف اللغة هو التعبير عن الفكر، إذ ما الداعي الذي يوجب على الناس التحول هنا وهناك معبّرين عن أفكارهم؟ إنّ مجرد التفكير يكفي لقضاء حاجات الناس العقلية الصرّفة.

وإذا كان الغرض من استعمال اللغة إرضاء رغبات من النوع الذي يمكنهم الحصول عليه دون مساعدة خارجية، فإنه في مقدرتهم استعمال جوارحهم وقواهم الجسمية، وإذا كانت عواطفهم تستدعي التنفيس الصوتي فيمكنهم الصياح، أو الضحك، أو التأوه.

ولكن اللغة بتعاملها المتعمّد والمقصود مع الأشياء لا تُفسّر بكل تأكيد على أنها تعبير عن الذات، بل يمكن تفسيرها وتوضيحها بطريق الحقيقة الثابتة التي تفيد أنّ النوع الإنســـاني مولع بالاجتماع والمصاحبة ويعتمد في حياته على التعاون"[3].

---

[1] هدسون: علم اللغة الاجتماعي، ترجمة محمود عياد، ص7.

[2] مصطفى لطفي: اللغة العربية في إطارها الاجتماعي، ص 45.

[3] كمال بشر: علم اللغة الاجتماعي، ص 31.

إنّ اللغة تتجاوز وظيفة التفكير المجرّد، والتعبير عما يعتمل في أقطار النفس من خَطَرات البال، لتشمل أيضاً استجابة المتلقين للغة، والظروف الزمانية والمكانية للحدث الكلامي.

إنها تمنح شعوراً بالانتماء إلى مجتمع المتحدّثين بها، وتُعين الفرد على التوافق الاجتماعي والتكيف النفسي مع الجماعة والمجتمع، وهي جسرنا لإقامة العلاقات الاجتماعية وتطويرها. وقد أطلق الأنثروبولوجي (مالينوفسكي) على هذه الوظيفة "التواصل الودي بين الناس" "Phatic Communion"[1].

وإذا كانت الظاهرة الاجتماعية تُقرِّر أنّ خروج أي فرد على أي نظام فيها يُعرِّضُه للجزاءات الاجتماعية، أو العقوبات المادية والأدبية للحيلولة بينه وبين ما يهدف إليه في التمرد عليه، فإنّ اللغة هي أبرز هذه الظواهر الاجتماعية التي تنعكس عليها ردود الفعل الاجتماعية، فإذا حاول فرد التحليق خارج المنظومة اللغوية للجماعة، فهو مُعرَّض للانتقاد والسخرية.

"فأصل اللغة عامة يعود إلى الطبيعة الاجتماعية للإنسان، وترتبط وظيفة اللغة والتغيرات التي تطرأ عليها ارتباطاً وثيقاً بالبنى الاجتماعية من جهة، وديناميكية العلاقات بين الأفراد والجماعات والمؤسسات والمجتمع من جهة أخرى ... "[2].

يمتد النسيج اللغوي في الثـقافة ومناشط الحياة للجماعات، فمن الصعب استجلاء ماهية السلوك إلا بالعَوْد إلى المحيط الأوسع للظروف التي يتم فيها الفعل الكلامي.

---

[1] ينظر، عبد الفتاح عفيفي: علم الاجتماع اللغوي، ص 21.

[2] نوربرت لوكمان: علم اجتماع اللغة، ت. أبو بكر أحمد باقادر، ص 11.

وينظر أيضاً جوليت غارمادي: اللسانة الاجتماعية، تعريب خليل أحمد خليل، ص 28.

وكلما توغل الفرد في محيطه الاجتماعي شغلت اللغة مكانة متزايدة، لا في حياته الاجتماعية وحسب، بل في سلوكه وتفكيره وأحاسيسه أيضاً.
لذا يجب أن تُدْرَس اللغة ونواميسها في إطار العلاقة الوثيقة القائمة بينها وبين تاريخ المجتمع؛ لأن اللغة – أي لغة – تُعدُّ اليوم حصيلة اجتماعية ونتاجاً للتاريخ الاجتماعي.

ويرى (ستالين) أنَّ اللغة: "إحدى الوقائع الاجتماعية الفاعلة والمؤثِّرة في سياق الوجود الاجتماعي وديمومته كلها، فهي تبقى ببقائه وتزول بزواله، وليس ثمة إمكان لوجود أي لغة خارج نطاق المجتمع، فلا نستطيع فهم اللغة وقوانين تطورها إلا إذا توجَّهنا لدراستها من حيث صلتها الوثيقة بتاريخ المجتمع أي بتاريخ الشعب الذي تنتَسِب إليه اللغة؛ موضوع الدراسة الذي أبدعها، وتحيا على لسان أبنائه ... "[1].

يتضمن المعنى الاجتماعي الثـقافي Social – Cultural Meaning، أو ما يسمى بالمعنى السياقي Contextual Meaning محتويات المعنى للكلام أو التعبير، ويقصد بـه مغزى الكلمات ضمن الجملة في موقف معين، أو في محيط اجتماعي معين.

إنَّ هذا المعنى يُقْتَبس من الكلام المستَعْمل في الحياة اليومية الذي يُفَسَّر في مجتمع إنساني معين، كما أنَّ هذا المعنى هو أكثر عرضة للتغيير والتبديل عَبْرَ التاريخ من أي معنى آخر في اللغة.

" لعل المعنى الاجتماعي– الثقافي يختلف قليلاً أو كثيراً من محيط إلى آخر، ومن موقف إلى آخر، ومن الجَلِيّ أن هذا المعنى هو ذو أهمية في فهم

[1] دراسات لغوية في ضوء الماركسية. ت. ميشال عاصي، ص 7.

المعنى وإدراكه للكلمة أو التعبير؛ لأنَّ المعنى الكلي لا يتوقف على المعنى اللغـوي وحسـب، وإنما يقترن بالمعنى الثـقافي والاجتماعي ..."[1].

ويَعدّ جورج ميد (George Mead) اللغة ركيزة أساسية لعملية التفاعل الاجتماعي التي يُتعلَّم من خلالها اتجاهات الآخرين وتوقعاتهم العامة، فاللغة كما يتمثلها: "تضع الوسائل الملائمة، والرموز المشتركة التي بوساطتها يبلغ الطفل عقله البشري، فالطفل طبقاً لرأي (ميد) يتعلم التفكير، ويشعر بالطريقة التي يؤديها الآخرون ... "[2].

ولا يقتصر عمل اللغة على العلاقة الطبيعية التي بوساطتها نميز بين جماعات المتكلمين، بل يتعدى هذه الوظيفة تحديد الطبقات الاجتماعية، والمنزلة التي يشغلها الأفراد أو الطبقة التي يتطلعون إلى الانتماء إليها.

"فهي بوصفها نظاماً اجتماعياً تنحو مناحيَ كثيرة، وتظهر بأشكال متنوعة، فلكل فئة من الناس أسلوبها الخاص في استعمال اللغة حسب طبقتهم الاجتماعية، فللرجال ألفاظ معينة تشيع في فضائهم لا تعرفها النساء، ولا يتلفظن بها أبداً.

وللأطفال كلماتهم وعبارتهم التي تجعل لهم عالماً اجتماعياً متميزاً، وللشباب والكهول والشيوخ مثل هذه الألفاظ الخاصة التي تُعبِّر عن مرحلة من مراحل العمر وتشبه العلامة الفارقة التي تميز هذه المرحلة ... "[3].

لذا فإنَّ محتوى التعبير الشفوي يقتضي معرفة بتقاليد اللغة وأعرافها، وتقاليد التعبير وأسلوبه عند متكلميها، وطريقة تفكيرهم التي تنعكس على أسلوب التعبير الذي يسـتعمل لغاية المشاركة الوجدانية الاجتماعية، لأنَّ

---

[1] صالح مهدي شريدة: العلاقة بين اللغة والمجتمع، مجلة المجمع العلمي العراقي، م25، ص 318.

[2] Socioinguistic Aspects of Language Learning and Teaching by, j.B. pride, p.5.

[3] وليد قصاب: الأسلوب والموقف الاجتماعي، مجلة الفيصل، ع97، ص 74.

الجهل بتلك التقاليد يُفضي إلى أخطاء في الاستعمال الاجتماعي للغة، بل ربما أوبقت كلمة صاحبها؛ لجهله تقاليد اللغة ودلالتها.

احتفى اللغويون العرب بالمنحى الاجتماعي – الثقافي للغة، فربطوا الكلام بإطاره الاجتماعي، وألمعوا إلى أثر المقام في تشكيل المعنى، وقد صدروا في ذلك عن إدراك لهذا الحراك اللغوي الاجتماعي.

تحدث الجاحظ عن لغة الجواري والكواعب والشواب[1]. وألمح إلى التنوعات اللغوية المتأثرة بالتنوعات الاجتماعية بقوله: "ولكل صناعة ألفاظ قد حصلت لأهلها بعد امتحان سواها، فلم تلزق بصناعتهم إلا بعد أن كانت مُشاكلاً بينها وبين تلك الصناعة"[2].

وأشار الجاحظ إلى تنوع الكلام بتنوع المتكلمين من حيث الثـقافات والبيئة والجنس: "وقد يتكلم المغلاق الذي نشأ في سواد الكوفة بالعربية المعروفة، ويكون لفظه مُتخيّراً فاخراً، ومعناه شريفاً كريماً، ويعلم مع ذلك السامع لكلامه ومخارج حروفه أنه نبطي. وكذلك إذا تكلم الخُراساني على هذه الصفة، فإنك تعلم مع إعرابه وتخيّر ألفاظه في مخرج كلامه، أنه خُراساني، وكذلك إن كان من كتاب الأهواز"[3].

وتنبّه محمد سلاّم الجُمَحي في كتابه "طبقات فحول الشعراء" إلى أثر المحيط الاجتماعي والبيئة في التغير اللغوي حين تعرض إلى شعر عَدي بن زيد، فقال:

"كان يسكن الحيرة، ويُراكِن الريف، فلانَ لسانه، وسَهُل منطقه ..."[4].

---

[1] الجاحظ: البيان والتبيين، 146/1.

[2] الجاحظ: الحيوان، 368/3.

[3] الجاحظ: البيان والتبيين، 69/1.

[4] ابن سلام الجمحي: طبقات فحول الشعراء، ص 14.

والتفت اللغويون العرب إلى السياق حين تعرضوا للمقام، ذكر بشر ابن المعتمر في صحيفته أنه:

"ينبغي للمتكلم أن يعرف أقدار المعاني ويوازن بينها وبين أقدار المستمعين وبين أقدار الحالات، فيجعل لكل طبقة من ذلك كلاماً، ولكل حالة من ذلك مقاماً حتى يقسّم أقدار الكلام على أقدار المعاني، ويقسّم أقدار المعاني على أقدار المقامات، وأقدار المستمعين على أقدار تلك الحالات .."[1].

وتحدث ابن طباطبا عن الموقف، وعدّه أساساً لحُسْن الكلام وجودته:

" ولحُسْن الشعر وقَبول الفَهم إياهُ علة أخرى وهي موافقته للحال التي يعدّ معناه لها: كالمدح في حال المفاخرة، وحضور من يُكبت بإنشاده من الأعداء، ومن يُسرُ به من الأولياء. وكالهجاء في حال مباراة المَهاجي، والحطّ منه حيث يُنكى فيه استماعه له. وكالمراثي في حال جزع المُصَاب، وتذكُر مناقب المفقود عند تأبينه والتعزية عنه، وكالاعتذار والتنصّل من الذنب عند سلّ سخيمة المَجْني عليه، المعتذر إليه. وكالتحريض على القتال عند التقاء الأقران، وطلب المغالبة. وكالغزل والنسيب عند شكوى العاشق، واهتياج شوقه وحنينه إلى من يهواه"[2].

وتنبّهت البلاغة العربية إلى أهمية الموقف عند تأليف الأسلوب، فنهض علم المعاني إلى مراعاة الموقف، واتساق الكلام مع مقتضى الحال.

ويَفتَرِض علم المعاني أنْ أي تغيير في التشكيل اللغوي يؤدي تلقائياً إلى تغيير فـــي معناه، فالعلاقة بين الشكل والمضمون لازِبَة وحتمية.

ولم يقتصر الاحتفاء بالمقام على البلاغيين بل التفت إليه اللغويون والنحاة أيضاً، فعلى الرغم من معيارية اللغويين العرب في تقعيد اللغة إلا أنهم

---

[1] الجاحظ: البيان والتبيين، 1/138-139.

[2] ابن طباطبا: عيار الشعر، ص 54.

لم يغفلوا الأثر الاجتماعي في الحراك اللغوي، فقد تنبهوا إلى أثر البيئة حين جمعوا اللغة، وأومأ النحاة إلى الوجهة الاجتماعية في الدرس النحوي، فكثير من دروس النحو لا يمكن استيعابها وفهم خواصها التركيبية، إلا بربطها بمقاماتها الاجتماعية التي توظَّف فيها، نحو: درس النداء الذي يفترض في جوهره منادياً ومنادى، ولا يكون النداء في فراغ، إذ يقتضي الأمر وجود طرفيه، وملائمة حرف النداء للموقف الكلامي.

وإذا كانت (الاستغاثة) هي نداء من يخلِّص من شدة أو يُعين على دفعها، فإنها نمط خاص من النداء له عناصره التركيبية، وتقتضي إصغاء. وهذا يُجلِّي الوظيفة الاجتماعية لهذا الأسلوب، إذ لا يُنادى إلا المُميِّز؛ لتعذُّر الإجابة من غير العاقل.

ويتعيَّن مراعاة المقام الاجتماعي في الدرس النحوي حين نوظِّف "الإغراء والتحذير"، و"الحذف"، و"الاستفهام"، و"الإيجاب والطلب"، و"النعت المقطوع"، وغيرها من دروس النحو؛ إذ لا يمكن استيعاب هذا التوظيف وفهم خواصه التركيبية إلا بربطه بمقاماته الاجتماعية التي تتحقَّق فيه، فاللغة تتشكل في أساليب متعددة تبعاً للموقف الذي تستعمل فيه.

وأومض بعض العلماء إلى التنوعات اللغوية للجنسين، ففي تعليق لأبي بكر الباقلاني على قول امرئ القيس:

لكَ الويلاتُ إنّكَ مُرْجِلي

قال الباقلاني: "وهذا من كلام النساء"[1].

---

[1] الباقلاني: إعجاز القرآن، ص 81.

وحين درس ابن جني أسلوب الندبة، ذكر أنّ "أكثر من يتكلم بهذا الأسلوب النساء"[1]. ولم يُغفل ابن جني الوجهة الاجتماعية في منهجه، فاللغة – وَفْقَ تعريفه: "أصوات يُعبِّر بها كل قوم عن أغراضهم"[2].

فهي ظاهرة اجتماعية تتطور تبعاً لحاجات المتكلمين وأغراضهم، فالمجتمع مجموعة من الناس تترابط من أجل غرض أو حاجات، واللغة وسيلتهم المضمونة في التواصل والخطاب.

ولعلنا نستشعر الأثر الاجتماعي في ظاهرة التدرج السني، فللأطفال حديثهـــم الخاص الذي يميزهم من غيرهم من البالغين، وكذا للنساء لغة لا يستخدمها الرجال، وهناك مجتمعات تستخدم فيها الطبقات طريقة في الكلام تميزها من غيرها.

فظاهرة التدرج السني، والتنوعات اللغوية تعكس أبعاداً متنوعة، كالأصل العرقي، أو الأصل الإقليمي، أو الاجتماعي، أو الجنسي ...

وعلى الرغم من أنه توجد لغات بعدد الأفراد، فلكلٍ سمته اللغوي الذي يميزُه من الآخرين إلا أنّ هذه التنوعات بين الأفراد لا تُقيم قطيعة بين أعضاء الجماعة اللغوية، فهم يتواصلون من خلال الجوامع المشتركة التي تَميزُ هذه الجماعة من غيرها.

فالسلوك اللغوي والاجتماعي في حالة حراك واحتشاد دائمين، وهذا ما أيَّده ديتمار (Dittmar) إذ يرى: "أنّ السلوك اللغوي والسلوك الاجتماعي في حالة تفاعل دائم، وأنّ حالات الحياة المادية عامل مهم في هذه العلاقة"[3].

---

[1] ابن جني: اللمع في العربية، ص 12.

[2] ابن جني: الخصائص: 1/33.

[3] An introduction to Sociolinguists, by, Wardhaugh, P.12.

ومما يَعضُد هذه الوشائج بين اللغة والمجتمع، أنّ لكل مجتمع تقاليده الاجتماعية ومعتقداته الدينية التي يمارسها الأفراد في كثير من الأحيان عَبْرَ اللغة، فالقوانين الاجتماعية التي تُمارِس سطوتها على أعضاء الجماعة تُلقي بظلالها على السلوك اللغوي. "فلكل جماعة لغوية طرائقها في التحية ، والتهنئة، والعزاء، واللقاء، والجلوس، والحفلات، والوداع، وممارسة الشعائر الدينية، وأي خروج عن هذه الأعراف يوقع الأفراد في الحَرَج والسخرية وقد يعرضهم للإهانة والعقوبة"[1].

فَهَبْ أنّ إنساناً هنّأ عريساً بقوله: "عظّم الله أجركم" إذن لتحولت التهنئة بالفرح إلى فأل شر يستهجنه السامع، على الرغم من أنّ العبارة تحمل معنى الدعاء، ولكن لم يراعِ صاحبها الموقف الاجتماعي في ذلك.

ولابد من وضوح الهدف في السياق، فقد نهدف من استعمال اللغة إلى إقناع الآخرين، أو إغضابهم، أو مجاملتهم، إلى غير ذلك من أهداف متنوعة تتساوق والعلاقات الاجتماعية.

فوظيفة اللغة البارزة وظيفة اجتماعية: "فالعبارات المختلفة المستخدمة للتحية، وتلك المستخدمة للتأدب عند مخاطبة الآخرين لها وظيفة اجتماعية أخرى، فهي في كثير من الحالات تدل على الطبقة الاجتماعية أو المركز الاجتماعي الذي يشغله كل من المتكلم والمخاطب على السواء كما تدل على العلاقة الاجتماعية بينهما"[2].

إنّ مراعاة المقام الاجتماعي بلُطف النظر يُكسِب المتحدث القدرة على التأثير، ويوفّر له شرطاً مهماً من شروط الخطاب، فقديماً قالت العرب: "لكل مقام مقال" وفي هذا إدراك لأهمية السياق، ومراعاة المقامات وَفْقاً للعوامل

[1] ينظر: علي عبد الواحد وافي: اللغة والمجتمع، ص 3-8.
[2] نايف خرما: أضواء على الدراسات اللغوية المعاصرة، ص 210-211.

المرتبطة بالمقال: كالعمر، والجنس، والتكوين الثقافي والاجتماعي، وهذه ترتبط بشخصية المتكلم أو السامع.

وينبغي أن يُراعى في السياق عنصر الموضوع: فحين يستعمل الإنسان اللغة في موضوع ما، يقتضي ذلك الالتفات إلى الاتساق والمفردات المستعملة، فلا يُوظَّف مصطلحات علمية في سياق شخصي، أو حماسي.

فالكلام – كما وصفه فيرث (J.R. Firth)– ليس ضرباً من الضوضاء يُلقى في فراغ، فمدار فَهْم الكلام والقدرة على تحليله، إنما يكون بالنظر إليه في إطار اجتماعي مُعيَّن.

احتفى (فيرث) بالسياق فحدَّد مفهومه للمعنى: "بأنه علاقة بين العناصر اللغوية والسياق الاجتماعي، فمعاني تلك العناصر تتحدد وَفْقَ استعمالها في المواقف الاجتماعية المختلفة، فقد يكون لكلمة أو جملة ما معنى لا يلبث أن يتغير تبعاً للموقف الموظَّف فيه.

فالإنسان يتخاطب مع غيره ضمن مواقف اجتماعية متنوعة تُحدِّد شكل الأسلوب الذي عليه أن يعتمده، ونوعية الكلمات التي عليه اختيارها، فثمة إطار اجتماعي تُستَعمَل اللغة ضمنه، فتتأثر بمعطياته، وتتكيف مع عناصره"[1].

وممن عُنوا بالسياق عالم الإناسة مالينوفسكي (Malinowski) الذي أكَّد ضرورة دراسة اللغة في سياقها الاجتماعي: فهذه المعطيات لا تتحدد اعتباطاً، فالكلمة تُستَعمَل كلما أمكن أن تؤدي عملاً، لا لوصف شيء أو ترجمة أفكار وحسب.

[1] مصطفى لطفي: اللغة العربية في إطارها الاجتماعي، ص 47.

"بحث (مالينوفسكي) وظيفة اللغة حين درس حياة السكان في "جزر تروبريان الغربية" من (غينيا الجديدة)، فلحظ سلوك سكانها البدائي وعلاقة هذا السلوك بالاستعمالات اللغوية، وانتهى من بحثه بجملة من الملاحظ، منها: أنه لابد لدراسة اللغة في الجماعات البدائية من أن نمهد لها بدراسة أخرى هي دراسة النشاط العام، إذ إنّ اللغة في الواقع هي طريقة من طرق السلوك الإنساني في ظرف عملي خاص، وهي عامل من عوامل ربط الفرد بجماعته ..."[1].

إنّ حالة التفاعل بين اللغة والمجتمع توجب تأثراً وتأثيراً بين أقنومي المعادلة، فاللغة نتاج الفعل الجمعي الذي هو جِمّاع تفكير أفراد المجتمع وعقولهم.

وتأسيساً على هذه الوظيفة، وصف (مالينوفسكي) اللغة بالمرآة الصادقة التي تعكس صورة واضحة لما عليه أفراد المجتمع من ثقافة ونُظُم وعادات وتقاليد واتجاهات.

"أكّد علماء اجتماع اللغة أنّ التطور الثقافي والحضاري لأي أمة يؤثر تأثيراً بالغاً في مدلولات الألفاظ، حيث تتجه بها وجهة معينة قد تبتعد قليلاً، أو كثيراً عن أوضاعها الأولى تبعاً لدرجة التطور الثقافي"[2].

ولعل أسلوب التضايف بين اللغة والمجتمع أفضى بالدارسين إلى إعلان علم مستقل أُطلق عليه "علم اللغة الاجتماعي" (Sociolinguistics)، شُغِل برصد اللغة في سياقها الاجتماعي، والوقوف إلى التغيرات الحادثة من الحراك المتبادل بين اللغة والمجتمع.

وقد صدر علماء اللغة الاجتماعيون عن قناعة ترى أنّ اللغة ظاهرة اجتماعية تتوفر فيها خصائص الظواهر الاجتماعية. وهي تدخل في علاقة

---

[1] أوتو يسبرسن: اللغة بين الفرد والجماعة، ت. عبد الرحمن محمد، ص 12.

[2] ينظر : عبد الفتاح عفيفي: علم الاجتماع اللغوي، ص 22 وما بعدها.

جدليّة مع غيرها على وجه الاستمرار، وهي نَسَق عام يشترك في اتّباعها أفراد المجتمع، وبها يتواصلون فيما بينهم؛ لأنّها أظهر العُرى التي تجمع بين أعضاء هذه الجماعة، وهي على الدوام رمز لما بينهم من تشارك.

ليست اللغة من صنيع فرد، إنّما هي تَعاقد يجري بين أعضاء الجماعة تقتضيها طبيعة الاجتماع، فالعلاقة بين اللغة والمجتمع هي علاقة الفاعل والمُنفَعِل لكليهما. وليس بمُكْنَة عالم الاجتماع نَزْعُ الأثر اللغوي في دراسته للمجتمع، كما أنّ دراسة اللغة تفضي إلى العناية بالسياق الاجتماعي، إذ "لا يمكن فهم اللغة خارج سياقها الاجتماعي، وإنّ علم اللغة النظري العام لا يمكن أن يواصل مسيرته دون الإفادة من إنجاز علم اللغة الاجتماعي بوجه خاص"[1].

ومما شجّع على نشوء علم اللغة الاجتماعي أنّ اللغة ظاهرة مُتَشعبة الجوانب، فهي في وجودها بناء ذاتي يأتلف من مستويات صوتية وصرفية ومعجمية ونَظْمِيّة ...؛ لأنّها في أدائها الطبيعي تتحقق بالمنطوق والمسموع، وهي كيان نفسي ترتبط بالدوافع والحاجات، وهي ظاهرة اجتماعية تمتد في بنية المجتمع وتكوينه. فاللساني يتوخى منهجاً يدرس تطور الألفاظ، وارتباط المفردات والتراكيب بالعوامل الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والدينية ...

فاللغة ليست بناء مجرّداً من المؤثرات الخارجية، لذا كان ينبغي أن يُعير علماء اللغة اهتماماً لتأثير الحياة الاجتماعية على اللسان، فثمة تزامل بين العوامل الاجتماعية وكل من الكلام، والتنوعات اللغوية، واللهجات والازدواج اللغوي، والخطاب السـياسي والأدبي والإعلامي ...

فتفسير الوقائع اللغوية بمعطيات المجتمع يُفْضي إلى تجلية الظاهرة اللغوية، وربطها بسياقها.

---

[1] هدسون: علم اللغة الاجتماعي، ص 7.

تجلّيات العامل الاجتماعي في السلوك اللغوي للجنسين:

شُغل علماء اللغة بالتنوعات اللغوية وأثر العوامل الاجتماعية والثقافية فيها، مثل: التدرج السني، والانتماء العرقي (race)، والاختلافات بين الجنسين، والمكانة الاجتماعية، والسياق الاجتماعي للكلام،والمركز الاقتصادي والسياسي، وغيرها من العوامل التي تُسْهِم في التفكير اللغوي.

ولعل ما يستجلي الأثر الاجتماعي في السلوك اللغوي هو دراسة السلوك اللغوي للجنسين، وارتباط التنوعات اللغوية بالعامل الاجتماعي والثقافي.

فالاختلافات في الكلام بين الرجل والمرأة لا يمكن دراستها بنجاح بمَعْزِل عن بعضها، وبالتالي فإنّ المواقع الاجتماعية المختلفة وغير المتساوية في القوة يجب بحثها ودراستها من منظور اجتماعي.

ويتعيّن إشراك الجانب النظري من العلوم الاجتماعية في مناقشة السلوك اللغوي للجنسين؛ لأنّ كثيراً من التباينات اللغوية للجنسين تصطبغ بعوامل اجتماعية وثقافية، فالرجال والنساء نتاج تأثيرات المحيط وشروطه.

لقد جذّر المجتمع فروقاً بين الجنسين كتقسيم العمل، وسيادة الرجال على النساء، وحصر النساء بأعمال نسوية الطابع في حقل الإنتاج الاجتماعي.

"يذهب دارسو الجنسوية إلى أنّ الفرق بين الرجل بصفاته الإيجابية، والمرأة بسماتها السلبية مما يَنْجُم عنه الهرمية الضدية بين الذكر والأنثى، إنّما هو فرق أيديولوجي ثقافي اجتماعي دافع عنه المجتمع والثقافات المختلفة بقوة القانون والسلاح، كما أنّ الضغط الاجتماعي والثقافي يؤسّس "بنية جنسوية"، ويجيز الدور الذي يشغله كل من الطرفين، وبهذا فإنّ الثقافة وليست الطبيعة

البيولوجية هي التي تضع قيوداً ومحددات على طرق التفكير والإبداع والسلوك"[1].

ويدعّم علم النفس التجريبي هذه النظرة بإشارته إلى:

"أنّ أكثر خصائص المرأة، نحو: أقل عدوانية، أقل اهتماماً بالأشياء التقنية، أكثر سلبية، أقل استقلالاً، أقل إبداعاً، أقل طموحاً، ... سببها اجتماعي"[2].

فالمرء لا يأتي إلى العالم امرأة، كما تقول (سيمون دي بوفوار) – بل يجعلون منه هكذا... "فالمرأة تبدأ بالقول أنا امرأة حين تحاول تعريف نفسها، وليس هناك رجل يفعل ذلك، هذه الحقيقة تكشف اللاتماثل بين مذكر ومؤنث، فالرجل هو الذي يحدّد الفارق الإنساني وليس المرأة"[3].

كان الاعتقاد السائد في القرون الخوالي، أنّ منشأ هذا الاختلاف بين الجنسين هو اختلاف (فسيولوجي) و (بيولوجي)، حتى تحوّلت هذه اليقينيات في وعي الأفراد إلى مشْجب يُعلّقون أخطاء المرأة عليه، فهي جنس ضعيف، طبيعتها تُملي عليها الرضا بالهامش، وأخذ دور التابع.

فالجبْرية البيولوجية أمست الطبيعة الثانية للمرأة، والمُسوّغ لغيابها عن مواقع الفعل والتأثير؛ لذا اقترنت المرأة – وفْق ثقافة المجتمع- بأدوار نسْويّة الطابع في حقل الإنتاج الاجتماعي، فالنساء مُعرّفات بالطبيعة أو مرتبطات بها بشكل رمزي، إذا ما قورنّ بالرجال المعرّفين بالثقافة؛ التي تؤكّد ذاتها تبعاً لتفوقها على الطبيعة.

---

[1] ميجان الرويلي، وسعد البازعي: دليل الناقد الأدبي، ص 85.

[2] أورزولا شوي: أصل الفروق بين الجنسين. ت. بوعلي ياسين، ص 14.

[3] رامان سلدن: النظرية الأدبية المعاصرة، ت. جابر عصفور، 195.

إنَّ الهوية الجنسوية تُفْرَض على الجنسين منذ النشأة الأولى، فيُدفع الأطفال بصورة منتظمة إلى دور جنسوي يتناغم وجنسهم .

وترى عالمة النفس (أورزولا شوي) أنَّ فرض الهوية الجنسوية يبدأ في رحم الأم، فإذا تمتع الجنين بحيوية زائدة قيل "سيكون صبياً". وكذا الأمر في الرّضاعة، فالأمهات يُرْضِعْنَ البنات بشكل مغاير لإرضاع الصبيان، وعلى البنات الصغيرات أنْ يتناوَلْنَ الحليب أسرع من الصبيان، وفي المتوسط تُفطم البنات أبكر من الصبيان بثلاثة أشهر. هنا تَقبَل الأم بصورة لا شعورية بسُلْطة الرجل الصغير واستقلاليته، فتترك له الإيقاع الطبيعي لرضاعته، فيما تَقْطَع على البنت إيقاع رضاعتها، ولا تُبْدي استعداداً لمسايرتها، بل تُخْضِعُها لإرادة غريبة"[1].

نهضت كثير من الدراسات لبحث الفروق بين الجنسين، والوقوف على الحقيقة التي مَرَّرَها المجتمع، بشأن تفوُّق الذَّكر، وتراجع الأنثى، وهل مبعث ذلك ما وهبته الطبيعة للذكـر من قدرات بيولوجية وعقلية، ونزعتها من الأنثى؟.

لكنَّ هذه الدراسات انتهت إلى"أنَّه لا يتوفر دليل علمي في البيولوجيا أو الفسيولوجيا ما يُثْبِتُ أنَّ المرأة أقل من الرجل عقلاً، أو جسداً، أو نفساً.

---

* إنَّ الأصل في التعبير هوية الجنس Gender identity، أي في تعرّف الولد أو البنت على حقيقة جنسهما ولداً أو بنتاً، إنَّ هذا الأصل هو هذه الأنوثة التي يعايشها كل من الولد والبنت بالأم منذ الولادة. ويطلق علماء النفس عليها اسم الأنوثة الأولية Proto femininity ، وهناك من الشواهد ما يثبت أننا نعثر على هذه الأنوثة منذ ولادتنا، ولكننا نتجه من بعد إلى تأكيد الذكورة فينا أو الأنوثة الأولية، ولو لم تكن هذه الأنوثة فطرية ما كان من الممكن أن يتحول الأولاد إلى الأنوثة ويتصرفون بخنوثة، والتخنُّث في الذكور سببه تعلّق الأولاد الذكور بالأم حتى ليشق على الولد أن يستغني عن أمه في سن المدرسة، ويجد العنت الشديد في الانفصال عنها.

ينظر: عبد المنعم الحفني: الموسوعة النفسية الجنسية، 60، وما بعدها.

[1] أصل الفروق بين الجنسين: ص 9.

إنّ الوضع الأدنى للمرأة فُرِض عليها من المجتمع لأسباب اقتصادية واجتماعية لصالح الرجل، ومن أجل بقاء الأسرة الأبوية واستمرارها..."[1].

فهذا التسلسل الهرمي لا يستند إلى أساس بيولوجي أو طبيعي، بل يَتَشَكَّلُ من خلال المنظومة الاجتماعية لإقامة الفروقات، وعدم المساواة.

تذهب روث بلير (Ruth Bleier) "أستاذة الطب" إلى أنّ التمييز الطبيعي أصبح جزءاً من (أيديولوجيا) تسعى إلى جعل ما هو في الحقيقة اختلافات اجتماعية وسياسية يبدو فوارق طبيعية وبيولوجية، وبذلك تسوّغ التمايز في الأدوار الاجتماعية وعلاقات الهيمنة بالخضوع، وأكثر من ذلك أنّ ما يمكن أن يفرض بوصفه طبيعياً يصبح ببساطة معياراً يسوّغ القواعد والأعراف التي تقتضي استهجان كل من يحيد عنها وعقابهم"[2].

فالتّذكير والتّأنيث مفهوم ثقافي وتصور ذهني، وليس قيمة طبيعية جوهرية. فلماذا يجري تفريغ الجسد المؤنث من اللغة، وعزله عن الفعل والتفاعل اللغوي؟ يجيب عبد الله الغذامي عن هذا التّساؤل بقوله: "إنّ ذلك عائد إلى التصور الثقافي الذي يرى أنّ جسد المرأة خالٍ من الفعل، وهذا تَصَوُّرُ ثقافي عالمي، نقرأ لدى الدنمركيين هذا المثل (للنساء فساتين طويلة وأفكار قصيرة)[3]".

فاللغة تعكس تنظيم المجتمع، ولكنها أيضاً وسيلة لبناء الواقع/الحقيقة، والسلوك اللغوي يعكس الفروقات في القوة، وفي الآن نفسه يُسْهِم في التوزيع غير العادل.

---

[1] نوال السعداوي: الأنثى هي الأصل: ص 18.

[2] ميجان الرويلي، وسعد البازعي: دليل الناقد الأدبي، ص 86-87.

[3] عبد الله الغذامي: ثقافة الوهم، ص 66.

إنَّ تنوعات اللغة مرتبطة بالاختلافات في الطبقة الاجتماعية والسلالة، والعمر، والجنس. واللغة مرتبطة ارتباطاً وثيقاً بثقافة الناس الذين يتكلمونها، وإنَّ هذه الثقافة يمكن تحليلها بحصر حُزْمة من المواقف الاجتماعية التي يُسمَّى كل منها (مقاماً)، فالألفاظ الخاصة التي تُعبِّر عن فئة من الناس أو مرحلة من مراحل العمر تشبه العلامة الفارقة التي تميِّز تلك الفئة أو المرحلة.

وتتجلى هذه التمايزات في المواقف الاجتماعية العديدة، ولعل أظهرها أساليب التحية والنداء، وأحسب أن التمثيل على ذلك يحقِّق ما نهجس به.

- **عبارات التحية:** أعرض هنا إلى العبارات الشائعة في مجتمعنا لتبيّن أثر السياق الثقافي والاجتماعي في السلوك اللغوي:
- مَرْحَبَاً، مَرْحَبَا (بترقيق الراء وتسهيل الحاء).
- صباحْ الخير، صباح الخير (بإشراب الصاد سيناً، ومطل الياء).
- صباح الورد، صباح الفُل.
- السلام عليكم.
- هَايْ.
- مَساء الخير، مِسا الخير، مَسا الخير.
- على العافية، العوافي، يعطيكم العافية (ينطيك العافية، ينطيكوا العافية "للجمع". أو ينطيشوا العافية بنطق الكاف كما تنطق (ch) في الإنجليزية).
- قَو الرجال، قَوكُم (تنطق القاف متأخرة إلى الخلف).
- **عبارات النداء:**
- ماما، بابا / أُمي، أبي / مَامِي، بَابِي / مَمَّاه بَبَّاه / مَمّ، دادي / يَمَّه، يُوبَه / يَمَّه، يَابَه.

لعلنا نستشعر من هذه العبارات الطبقة الاجتماعية أو المركز الاجتماعي الذي يشغله المتكلم أو المخاطب على السواء، كما تومىء العبارات إلى المراحل العمرية، والمستوى الثقافي للمتكلم، والفروق الجنسية، والعلاقة التي تربط بين المتكلمين والمخاطبين، إلى غير ذلك من اختلافات اجتماعية، مما يؤكِّد أنَّ اللغة سلوك اجتماعي يحدِّده المجتمع في المقام الأول.

يشرع التركيب الاجتماعي والثقافي ببذر قوانينه منذ تخلّق الجنسين، فثمة سلوك مُتعيِّن للجنسين، ولا ينبغي الخروج عن هذه الضوابط، فالبنت في بعض الشرائح الاجتماعية تُلقَّن اللغة بطريقة مغايرة للصبي، فلا يُسمح لها الحديث بصوت عالٍ، أو مقاطعة الكبار، أو إبداء رأيها في حوار أو مناقشة، أو أن تنطق بعض الألفاظ، أو أن تتداول بعض النُكت.

... فالبنات الصغيرات لا يتحدثن هكذا، البنت لا ترفع صوتها، البنت المؤدّبة لا تتدخل في شؤون الكبار، البنت تبتسم ولا تضحك ... .

أما الصبيان فَيَحظَوْن بما حُرِّم على البنات، فلهم أن يصرخوا، وأن ينفجروا غضباً، وأن يعترضوا، وأن يقاطعوا في الحوار، وأن يُلقُوا النكات البذيئة، وأن يضحكوا بصوت مرتفع، وأن يسخروا من الآخرين، فهم صبيان، ويحقُّ لهم ما لا يحق لغيرهم.

ويُمعِنُ المجتمع في تعزيز هذا السلوك حتى يغدو قانوناً طبيعياً يستكِنّ في العقول فلا يحيد عنه أحد الجنسين، ولو حاولت البنت أن تشبّ عن الطوق الاجتماعي لتعرضت للسخرية والتوبيخ، ولو قلّد الصبي البنت في حديثها لاستهجنوا صنيعه، ورمَوْه بالتخنّث، والتكسُّر، والميوعة ...

تذكر روبين لاكوف (Robin Lakoff) : "أنّ الأطفال في اليابان من الجنسين يستخدمون أدوات التعريف الخاصة بالمرأة إلى أن يبلغوا الخامسة من

أعمارهم، ثم يُوجّه الذكور إلى التوقف عن استخدام هذه الأساليب اللغوية حتى لا يوبّخوا ويُسْخر منهم"[1].

وثمة أعراف اجتماعية للجماعات والأمم تظهر العامل الاجتماعي في السلوك اللغوي "فالأبيبون (Abipon) في الأرجنتين يقومون بإضافة اللاحقة (in) (إن) في نهاية كل كلمة، إذا كان المتحدث أو المتلقي من المحاربين.

وتتضمن لغة اليانا (Yana) في "كاليفورنيا" صيغة تستخدم في الكــلام عن النساء أو فيما بينهن"[2].

"وفي لغة الكوساتي (Kossati) المستخدمة في "لويزيانا" (Louisiana) هناك اختلاف في صيغ الأفعال التي تستخدمها الإناث، وتلك التي يستخدمها الذكور يقوم الذكــر بإضافة (S-) في نهاية الصيغ المؤنثة: ومن الأمثلة على ذلك: أنّ الذكور يستخدمون صيغة lakáws، وتستخدم النساء صيغة lakáw ، وتعني الصيغتان "يرفع" "[3].

"وفي واحة سيوة الواقعة في صحراء مصر الغربية يتحدث الرجال اللغة العربية بجانب استخدام اللغة السيوية، أما النساء فلا يتحدثن إلا باللغة السيوِّيّة، ولا يستطعن التعامل بالعربية.

وشبيه بهذا في المناطق النوبية في مصر أو البربرية في المغرب العربي والمهرية في شرق اليمن. وارتباط لغة بعينها بالرجال دون النساء يرجع إلى طبيعة العلاقات الاجتماعية، فمجتمع النساء في هذه البيئات منفصل

---

1 Extract from Language and Woman's Place, by Robin Lakoff, from (The Feminist Critique of Language, Cameron, D (ed) 1998, p, 242).

2 See The Feminist Critique of Language, Edited by, Deborah Cameron, p. 242.

3 هدسون: علم اللغة الاجتماعي، ص 190.

تماماً عن التعامل الخارجي، ولذا لم تدخله العربية: لغة التعامل الخارجية، ولغة التعليم والثقافة"[1].

إنّ إنتاج الخطاب في كل مجتمع هو إنتاج مراقب، ومنتقى، ومُعَاد توزيعه من خلال عدد من الإجراءات التي يكون دورها الحدّ من سلطته ومخاطره.

وإذا تقبلنا فكرة (ميشيل فوكو) التي ترى: "أنّ ما هو صواب يعتمد على من يُهيْمن على الخطاب"[2]، فمن المعقول أن نسلّم بأنّ سيادة خطاب الرجل أوقع المرأة في فخ حقيقة المذكر، فحين سيطر الذكر على الخطاب قام بتشكيل الواقع وفْق تصوراته، فوزّع الأدوار الاجتماعية، وعضد موقفه ببناء التقسيمات، واختيار المعاني، بعد ذلك قام بالمصادقة عليها، ولم يكن للمرأة في هذا سوى الرضوخ، والرضا بنصيب "أم الحُلَيْس" في الشاهد النحوي المشهور.

في ظل هذا المشهد الذي آلت الأمور فيه إلى الرجل، تَشكّل السلوك اللغوي للجنسين، فالمرأة أكثر ميلاً للمحافظة على العادات والأعراف، وأشد التزاماً بالمعيار، فهي لا تنساق إلى التغيرات الحادثة باندفاع الرجل.

ولعل هذا السلوك الذي تنهجه المرأة يحقق لها -وفْق نظرتها- احتراماً في التراتب الاجتماعي، ويجنبها السخرية والانتقاد من محيطها، فقلّما تلجأ المرأة إلى اللغة السوقية أو الابتذال في الألفاظ.

وقد لا ينسحب ذلك على المرأة العربية في العصر الراهن، فهي تنتحي -على الأغلب- لهجة محلية تحظى بالسيرورة والمكانة الاجتماعية؛ لأنّ ذلك يضفي عليها مُسْحَة أنثوية، إضافة إلى أنّ الدور الذي تشغله المرأة في السلّم الاجتماعي لا يوفر لها سُبُل اكتساب لغة الثقافة السائدة، إذ إنّ دور

[1] علي عبد الواحد وافي: علم اللغة، ص 24.

[2] ميشيل فوكو: نظام الخطاب، ت. محمد سبيلا، ص9.

المرأة مُختَزَل في الأعمال المنزلية وتربية الأطفال، وفي أعمال اجتماعية محدودة؛ مما يُلجِيء المرأة إلى الاكتفاء باللهجة المَحْكيَّة في أدائها اللغوي.

أما الرجال فلهم فضاؤهم المتراحِب، فمنهم السياسي، والاقتصادي، ورجل الدين، والتربوي، والعسكري، والإداري ... إلى غير ذلك من أدوار تُسهم في إكسابهم اللغة القياسية إلى حد كبير.

فالتنوع اللغوي يلتحم بالعامل الاجتماعي وجوداً وعدماً.

ومما يومئ إلى العامل الاجتماعي وأثره في تشكيل السلوك اللغوي للجنسين. "أنّ النساء في اليابان يضفن اللاحقة ne إلى نهاية كل جملة دلالة على أنّهن نساء، مما يدل على المكانة الاجتماعية التي تشغلها المرأة في المجتمع الياباني. الذي – غالباً– يصوّر المرأة أنّها تابعة للرجل، وأنّ مكانها دائماً في البيت، لذا يستخدم الرجال كلمة Kanai للإشارة إلى زوجاتهم، وتدل هذه الكلمة على الشخص الذي يبقى رهين البيت ، إذ إنّ المقطع "Ka" يعني البيت، المنزل، العائلة، و "nai" يعني الشخص في إطار المجتمع الياباني.

وتعبّر كلمة "Kanai" عن علاقة الأعلى بالأدنى، أي الرجل بالمرأة، ولعل الأسوأ من ذلك، أنّ الرجال الطاعنين في السن يستخدمون كلمة "Gusai" وتعني الزوجة الغبية للدلالة على زوجاتهم، والاستهجان هنا أنه لا توجد كلمة بمعنى الزوج الغبي، بل إن هناك تعبيراً "يا سيد" لمخاطبة الرجل من قبل المرأة"[1].

"وأوضح جيرتز Geertz أنّ النساء في جزيرة (جاوا) في أندونيسيا يمارسنَ المهن المختلفة، ويملكن المزارع ويُشرفن على الحصاد، أما الرجال فيقومون بأعمال البيت كالتنظيف، والتدبير المنزل وإعداد الطعام.

[1] إبراهيم الملا: النسوية من منظور علم اللغة الاجتماعي، مجلة أفكار، ع149، ص20.

وفي هذه الجزيرة تحظى لغة النساء بالسيرورة والتمثُّل من قبل الأطفال والبالغين "[1].

ووصف سيجل (Seigel) العائلة الأتنجية في أندونيسيا: "بأنَّ النساء فيها يقطنّ في المنزل الخاص بالآباء والأجداد بعد الزواج، ويمتلكن قياد الإدارة في البيت.

ويقتصر دور الرجل في هذه العائلة على جلب المال، وتنظر نساء هذه العائلة إلى دور الرجل بأنه محصور بين الطفل والضيف".[2]

لعل هذه التجليات لمكانة المرأة تستدعي مرحلة مرّت بها المجتمعات وهي مرحلة السيادة المتريركية (الأمومية)؛ إذ كانت المرأة تنافس الطبيعة في خصوبتها، وهي السيدة الأولى في المجتمع، بيدها معاقد الأمور، وباسمها كانت تهجس الثقافة، وهي موضوع التأمل، ومنبع الحركة والحياة.

لذا "فإن أول ديانة للرجل كانت المرأة، منها بدأ تعبده، وإليها شرعت الصلوات الأولى، وهي الرحم العالي، ومنشئة الكون، ومصدر كل شيء، من ذاتها تخلّق الإنسان، وفي بطنها نشأ"[3].

كتب ميشيل شتيفان (Michael Eshteavan) عن المجتمع الأمومي: "كانت النساء منتجات في المجتمعات المتريركية، وكنَّ يتحكّمنَ بوسائل الإنتاج، ولسيطرتهن على السلطة الاقتصادية والاجتماعية امتلكن السلطة السياسية"[4].

---

[1] Woman, Culture and Society, by Michell Zim and Lamphere, p. 25.

[2] See: Woman, Culture and Society, P. 26.

[3] كامي: العشق الجنسي والمقدس، ت. عبد الهادي عباس، ص20-21.

[4] عن: لورزولاشوي: أصل الفروق بين الجنسين، ص 30-31.

وفي ظني أن هذه التحقّقات الاعتبارية للأنثى قد تُفضي إلى تغيير في الخطاب السائد، والسلوك اللغوي للأفراد، فالأنثى حين تتمتع بحرية الخطاب، وتنوّع الاستعمال بما يوائم الدور المنوط بها، فإنه سيغتني معجمها الذهني ويتنوع، وهذا يؤكد ارتباط قوة الخطاب بروافد الحضور.

إنّ اللغة تتأثر بمحيطها، فارتباطها بالمجتمع ارتباط الجزء بالكل، ولعل هذه الإرهاصات متعيّنة في سلوك الأفراد في المجتمع.

هذه الرؤى الاجتماعية سكبت نسقها في يخضور اللغة حتى صيّرتها بيد الأقوى، فشكّل الرموز، واجترح المفردات، وتربّع على عرش الخطاب.

يتباين السلوك اللغوي للجنسين تبعاً للأثر الاجتماعي المُمارَس على الجنسين، فالمجتمعات التي تضرب حُجُبَها على الأنثى، يزداد فيها التباين بين لغة الأنثى ولغة الذكر فيصبح للأنثى ألفاظها، وموضوعاتها، واستعمالها اللغوي الذي يميزها عن لغة الذكر.

أما المجتمعات التي تتيح للجنسين التفاعل والاختلاط فإنّ السلوك اللغوي يتضام في شكل الخطاب، واختيار المفردات، بل قد يتقارب في الأداء اللغوي.

لاحظت الباحثة جينيفر كوتس (Jennifer Coates) أنّ مجموعات معينة من النساء مثل المتخصصات، والمشتغلات بالسياسة قد اخترن لأنفسهن أساليب لغوية جديدة وفّرت لهن التقارب من اللغة السائدة/ لغة الرجل. بأساليب متنوعة، منها:

- تجنُّب الأصوات الحادّة ذات التردد العالي.
- استخدام الألفاظ المُبتَذلة، والمفردات السُّوقية والمحرّمة Taboo.
- اختيار الملامح فوق التركيبية الأكثر قرباً من ملامح الرجال، كاستخدام الأنماط التنغيمية الهابطة بدلاً من الصاعدة.

- تفضيل الأسلوب الأكثر جَزْماً في التفاهم داخل المجموعة.
- التفاعل في موضوعات – كانت وقفاً على الرجال– مثل السياسة، والاقتصاد، والاجتماع.
- الميْل إلى استخدام اللغة السُوقية، وتجنب اللغة المعيارية"[1].

لعل ما دفع هؤلاء النساء لنهج هذا السلوك هو سيطرة لغة الرجل، وتسيّده إنتاج الخطاب، فالمرأة بتماهيها مع لغة الرجل تقترب من القوة، ومنافسته في مضارب الحياة.

لذا لجأت بعض الكاتبات إلى انتحال أسماء ذكورية للكتابة في المجلات والصحف، لأنّ المجتمع لم يتقبل بَعْد خوض المرأة ميدان الكتابة، لارتباط لغتها –وفق المخيال الاجتماعي– بالسذاجة، والسطحية ومن هؤلاء " Marian Evans التي لجأت إلى اسم (George Eliot) والأخوات برونتي Brontes اللواتي استخدمن أسماء رجال هي: (Currer Bell, Ellis Bell, Acton Bell) ولجأت Mary Murfee إلى (Charles Egbert Craddock) في كتابتها"[2].

إنّها تَلِجُ اللغة عَبْرَ قنْطَرة الرُجولة، فهي بوابتها الشرعية لتمنحها القَبول والسيرورة، فالمرأة مسكونة دوماً بهاجس إرضاء السائد، وتجنُّب الانتقاد. ولا نستهجن ما قالته (مي زيادة):

"نحن في حاجة إلى نساء تتجلى فيهن عبقرية الرجال"[3].

---

[1] أحمد مختار: اللغة واختلاف الجنسين، ص37، نقلاً عن:

Women, Men and Language, by Jennifer Coates, P. 10.

[2] Toward a feminist poetics, by Elaine Showlter, P. 138.

[3] مي زيادة: الأعمال الكاملة، 170/1.

ولعل التماهي مع لغة الآخر دعا الروائية (أحلام مستغانمي) للسرد بلسان الرجل؛ لأنَّ ذلك يوفر لها حرية البَوْح، ويُشْرِع لها آفاقاً لا تتحقق لو كان السرد بلسان أنثى، إنها تكتب لاستعادة صوتها، وممارسة حقها في اللغة "نحن نكتب لنستعيد ما أضعناه، وما سُرِق منا خُلْسَة"[1].

إنَّ ما تلجأ إليه المرأة للمصاقبة من لغة الرجل هو حيلة نصبها المجتمع للمرأة لإبقاء الذكورة قيمة معيارية تظل المرأة ترنو إليها لمحاكاتها.

لقد قيّم جوك هيوزمان (Joke Huisman) النقاش الخاص بالمساواة والاختلاف بين الجنسين، فذكر:

"ما إن تُسْـتَخدم كلمة "امرأة" في سياق سياسي أو نظري حتى تواجه لا شعورياً ما تواجه الحركة النسوية، فوَضْع النساء يختلف عن وَضْع الرجال، وتُعَدُّ مكانة المرأة منحرفة عن السياق العام بفضل سيادة الذكورة على الثقافة، واللغة والقِيَم.

ومن المُحال أنْ نجد أسساً واضحة للفروق بين الرجل والمرأة من وجهة نظر واحـــدة، فثمة آراء ترى الجنسين متساويين، وآراء أخرى تقدمهما متباينين. وكل يستند إلى ما يَعْضُد زعمه.

وإذا ألقينا نظرة فاحصة للفروق. وكيف تنشأ، ننتهي إلى أنَّ مفهوم كلمة "الرجل" يُمَثِّل العام/ الشامل/ العالمي/ الإنسان.

"أما كلمة "المرأة" فهي رديف الانحراف/ الثانوي/ الهامشي؛ لذا تُنْعَتُ المرأة بالآخر، وهذا يفضي إلى إجبار المرأة على تحديد مكانها في عالم الرجل، أو أنْ تخوض مجالاً آخر في عالم (اللانساء)، وبالتالي تنأى عن التيار

---

[1] أحلام مستغانمي: ذاكرة الجسد، ص 105.

الرئيس. وباختيار سبيل الفرادة تتكفيء المرأة على ذاتها في ظل حضارة تهيمن عليها قيم الذكورة"[1].

ونخلص من عرض هذه الأنظار أنّ اللغة ظاهرة اجتماعية تتسامى فوق وعي الفرد، فهي سابقة في وجودها وجود الفرد؛ لأنّ قواعدها ونظمها تأتلف والقيم التي ارتضاها عقل الجماعة، ومن ثمّ فهي تنظّم عقول الأفراد، وتصوغ قنوات الاتصال اللغوية الأساسية التي يتفاعل الأفراد من خلالها.

فاللغة بذلك سلوك توجهه المعايير والمعاني والقِيَم في مواقف التفاعل التي تحدّدها المناسبات الاجتماعية المتعددة. فاستخدام الفرد للسلوك اللغوي تحكمه شروط النظام الاجتماعي، وتُسهم هذه الشروط في اختيار الصياغة اللغوية المنسوقة والسياق الثقافي والاجتماعي للموقف الكلامي.

ولعل علاقة التلاحم التي تربط اللغة بالحراك الاجتماعي، أفضت إلى نهوض اللسانيات الاجتماعية برصد اللغة في سياقها الاجتماعي الذي تحدث فيه النشاطات التفاعلية للغة والثقافة، إذ إنّ هذه النشاطات تصطبغ بالخبرات الاجتماعية والثقافية للفرد، فالسلوك اللغوي والسلوك الاجتماعي في حالة تفاعل دائم، ويتجلى في مناشط الحياة المختلفة، كالمناسبات الاجتماعية. فعبارات التحايا والمجاملة والوداع، وأضرابها من الكلام تمثيل لعادات اجتماعية، ووسيلة للتعاون والترابط الاجتماعي. ويمكننا من خلال هذا السلوك أن نتنبأ بلهجة الطبقة الاجتماعية Social class dialect، فالجماعات الاجتماعية تَستَخدم لهجات لغوية متباينة تتأثر بالتمايز الاجتماعي القائم بين هذه الفئات.

[1] See: Women's Language, Socialization and Self – image, Edited by De'de Brouwer and Dorian dé haan, PP. 131-132.

فلا مندوحة عن الالتفات إلى الأثر الاجتماعي في السلوك اللغوي، فالعوامل الاجتماعية بمنزلة الخلفية التي يجب الرجوع إليها لتحديد السياقات للمعنى والكلمات، فنحن مخلوقات اجتماعية يُسْهِم المجتمع في تشكيل ذواتنا وصوغها وَفْقَ المنظومة السائدة، وبالتالي يتخلَّق سلوكنا تبعاً للمعيار الضابط.

وإخال أنَّ رصد السلوك اللغوي للجنسين ينطوي على الصلة الوثقى بين العوامل الاجتماعية والسلوك اللغوي، فحقيقة الفروق القائمة بين الرجل والمرأة ليس مردُّها العامل البيولوجي أو الطبيعي، بل مرْجِعها العامل الاجتماعي والثقافي.

ولعل ما يكتنف هذه الفرضية من إلماعات ومغامرة، قوّى في النفس دراسة السلوك اللغوي للجنسين وَفْقَ اللسانيات الاجتماعية؛ لأنَّ دراسة اللغة في السياق الاجتماعي يُسْفِرُ عن فيوضٍ قد لا تتأتّى للمناهج اللُّغوية الأخرى.

الباب الثاني

نظرة اللغة إلى الجنس

- الفصل الأول: تصنيف الجنس في اللغة
- الفصل الثاني: الثقافة، اللغة، التحيّز

تصنيف الجنس في اللغة:

مُذْ وَطِئَ الإنسان هذه البسيطة وهو يعارك المجهول، لاستجلاء ما التبس عليه من أسرار وكُمُون. ولقد وفِّق في مقصده في أحايين كثيرة، إلا أنّ ثمة ظواهر اعتاصت عليه؛ لِمَا يكتنفها من غموض وتركيب.

ولعل من أظهر هذه المسائل، مسألة الجنس.

فعلى الرغم مما خطّه السابقون، وملأوا به أسفارهم، إلا أنهم لم يأتوا بالقول الفيصل في هذه المسألة، فأكثر ما ارتبطت هذه الظاهرة بالحكاية والسماع، وهذا ما انتهى إليه "ابن وهب" حين قال:

"ليس يُوصَل إلى علم المذكّر والمؤنّث من هذا الباب إلا بالسماع دون القياس"[1]؛ لأنها لا تنتظم في قواعد صارمة لا تتخلّف، ذكر"ابن التُسْتَري":

"ليس يَجْرِي أمر المذكّر والمؤنّث على قياس مُطّرد، ولا لهما باب يحصرهما"[2].

ولم يقتصر الجأر بالشكوى على السابقين، بل انتقلت الحَيْرة إلى المحدثين، على الرغم مما بذلوا من وُكْد في البحث والنظر. ذكر المستشرق (برجشتراسر):

"التأنيث والتذكير من أغمض أبواب النحو، ومسائلهما عديدة مُشْكِلَة، ولم يُوفَّق المستشرقون إلى حلها حلاً حازماً مع صرف الجهد الشديد في ذلك"[3].

ولعل اقتران مسألة المذكّر والمؤنّث بالغموض، كامنٌ في أسباب عديدة، منها: ارتباط التأنيث والتذكير بالتاريخ اللغوي، ونشأة اللغة والتطور الذي طرأ على مسيرتها أمر نجهله، فلم تترك الأمم من الأمارات الكافية ما

---

[1] ابن وهب: البرهان في وجوه البيان، ص 329.

[2] ابن التستري: المذكّر والمؤنث، ص 47.

[3] برجشتراسر: التطور النحوي للغة العربية، ص 112.

يدل على لغتها، فانقرض كثير من اللغة الأولى، ودُرِسَت آثارها، وعَفَت رسومها.

وأحسب أنّ غياب الأدلة المادية والبراهين المحسوسة من شأنه الحئول دون الوصول إلى تفسيرات قاطعة لهذه المسألة وغيرها من الفصائل النحوية، كالعدد، والزمن، والجنس ...

وهناك سبب آخر أسهم في خفاء مسألة المذكّر والمؤنّث، هو تصنيف الجنس في اللغة، فقد تم توزيع المحسوسات والمُجَرَّدات على قسمين وحسب، هما: "المذكّر والمؤنّث"، فداخَل القسم الواحد ما لا يتعالق مع غيره بقرينة، فالمذكّر والمؤنّث ارتبطا بالجنس الطبيعي وهو قرينة مادية حسّية، وانتفاء هذه القرينة –بالضرورة– أسفر عن غموض في التصنيف، وفوضى في التوزيع.

وانعكس هذا الغموض على تفسيرات الباحثين وتأويلاتهم: فتغلّفت آراؤهم بالخيال والأسطورة ،مما زاد الظاهرة عماءً واعتياصاً.

وإخال أنّ استدعاء تصنيف الجنس في اللغات الأخرى يعْضُد ما نهجس به، فالساميون صنّفوا الجنس وَفْق قسمين: المذكّر والمؤنّث، مما يتفق وثنائية الوجود، إلا أنّ التفسيرات تباينت في العلة التي دفعت الساميين إلى هذا التصنيف.

يَفْتَرِض وليم رايت (W. Wright): "أنّ الخيال الخِصْب للساميين كان يرى أنّ جميع الأشياء حتى تلك التي يبدو واضحاً أن لا حياة فيها (ليست نشيطة) تتمتع بالحياة، لذلك لم يَبْرُز عندهم سوى جنسين وحسب، وكذا في الطبيعة جنسان"[1].

[1] Lectures on the Comparative Grammar, by. W. Wright. P 131.

ويغلب على ظني أنّ الساميين وضعوا في البدء اسماً واحداً لكلا الجنسين، فالإبل للمذكّر والمؤنّث، والعاقر للمذكّر والمؤنّث، والطفل للمذكّر والمؤنّث؛ ولكن بعد أن ارتقت حياتهم وتوسّعت آفاقهم. صاروا يفرّقون بين المذكّر والمؤنّث في اللغة لا بوسيلة نحوية، ولكن بكلمة للمذكّر وأخرى للمؤنّث.

ولهذا الافتراض ما يناصره من تجارب الإنسان ومنطق الأشياء، إذ إنّ التطور يبـــدأ من البسيط إلى المركب؛ لأنّ التمييز والتصنيف مراحل متطورة في التفكير المجرّد، الذي يُعدُّ شكلاً من المعرفة أكثر تعقيداً، ويعكس العالم وعملياته على نحو أكثر عمقاً وكمالاً بالمقارنة مع المعرفة الحسية. فالانتقال من المعرفة الحسية إلى الفكر المجرّد يُمثّل قفزة نوعية في تطور اللغة، لأنه تطور من معرفة الوقائع إلى معرفة تفصيلات أكثر عمقاً.

لم يكن اجتراح مفردة للمؤنّث وأخرى للمذكّر أمراً يسيراً في ظل عَناء الإنسان اليومي وهو يواجه صراع بيئته بحيواناتها الضارية وبرودتها القارســـة، لأنّ انتحاء هذه الوُجْهَة – بالضرورة – سيضخّم معجمه، ويُعنّي النفس لابتداع ألفاظ ملائمة للحادث من المسميات. وقد تنبه "بهاء الدين بن النحاس" في (التعليقة على المُقرّب) إلى هذا الأمر، فقال:

"كان الأصل أن يوضع لكل مؤنّث لفظ مؤنّث غير لفظ المذكّر، كما قالوا: عير، وأتَان، وجدْي، وعَنَاق، وحَمَل، ورِخْل، وحِصان، وحِجْر، إلى غير ذلك.

لكنهم خشُوا أن تَكْثُرَ عليهم الألفاظ، ويطول عليهم الأمر، فاختصروا ذلك بأن أتوا بعلامة فرّقوا بها بين المذكّر والمؤنّث تارة في الصفة، كضارب وضاربة، وتارة في الاسم، كامرئ وامرأة، ومرء ومرأة في الحقيقي، وبلد

وبلدة. ثم إنهم تجاوزوا ذلك إلى أن جمعوا في الفرق بين اللفظ والعلامة للتوكيد وحرصاً على البيان، فقالوا: كَبْش ونَعْجَة وجَمَل ونَاقَة، وبلد ومدينة"[1].

وأثنى جرير (Gruber) على هذا التصنيف فرأى أنّ: "الأفضل للغة أن تتضمن طُرُقاً اشتقاقية للحصول على كلمات جديدة بدلاً من اللجوء إلى كلمات جديدة تماماً. إذ إنّ الكلمة الجديدة أكثر كُلْفَة للغة، وتتطلب مزيداً من الروابط بين أُجزاء الكلام وتقسيماته الفرعية، وتصنيفاته ذات الصلة بهذه الكلمة"[2].

اقتصرت اللغات السامية في تصنيفها للجنس على قسمين، ولم تُشقَّق قسْماً ثالثاً للمحايد، بل توزّعت مادة المحايد (المجازي) على المذكّر والمؤنّث.

فهل احتذت اللغات الأخرى نَهْج السامية في التصنيف، أم انتحت شِرْعة أخرى؟ لعل في الإلماعات اللاحقة إجابة عن التّسآل.

الجنس في اللغات الهند أوروبية:

يَذْكُر بروغمان (Brugmann) "أنّ في اللغات الهند أوروبية طريقتَين للتعبير عن الفروقات في الجنس الطبيعي، إما بوجود جذور مختلفة (التي تقع عليها الحركات نفسها: فتحة، ضمة، كسرة)، ولكن الحركات تختلف ومثالها كلمة deus التي تعني إله، dea التي تعني إلهة (مؤنّث إله).

أما فيما يتعلق بالجنس القواعدي فإنه لا توجد إلا طريقة واحدة للتفريق بين المذكّر والمؤنّث، ألا وهي: استخدام حركات مختلفة في نهايات الكلمات، مثل anima: animus في اللغة اللاتينية"[3].

---

[1] السيوطي: الأشباه والنظائر، 37/1.

[2] Function of lexicon, by Gruber.P. 113.

[3] Grammatical Gender, by M.H.Ibrahim, p. 33

يرى بلومفيلد (Bloomfield) " أنّ تصنيفات الجنس في معظم اللغات الهند أوروبية لا تتفق في شيء في العالم العملي"[1].

ويضيف: "يبدو أنه لا توجد قاعدة أو مقياس عملي يمكن بوساطته تحديد الجنس في الألمانية، أو الفرنسية، أو اللاتينية"[2].

لم تستقر اللغات الهندأوروبية على حال في تعاطيها مع الجنس، بل طرأ عليها تغيرات عديدة خلال العصور، "ففي تاريخ اللغات الرومانية والجرمانية، والكلتية، وفي الفرنسية كثيراً ما جرّت نهاية التذكير أو التأنيث معها الجنس المقابل لها، يقع ذلك إلى درجة أنّ عدداً كبيراً من الكلمات المنتهية بنهاية مؤنّثة، التي تعدُّها اللغة الصحيحة مذكّرة حتى يومنا هذا استُعملَت أو مازالت تُستعمل في اللغة الدارجة على أنها مؤنّثة، ولا سيما إذا كانت مبدوءة بحركة تمنع إصحابها بالأداة المؤنّثة مثل الكلمات "exercise" "تمرين" و "Orage" عاصفة"، و"ouvurage" "عمل".

بل إن الكلمتين prophete "نبي" و "pape "بابا" استُعملتا مؤنّثتين في العصور الوسطى بسبب النهاية المؤنّثة في آخرهما. وهذا يُرينا مقدار اختلاف الجنس الطبيعي عن الجنس النحوي"[3].

إن كانت اللغات الهندأوروبية قد قسّمت الجنس إلى مذكّر ومؤنّث ومحايد، فإنّ هذا النظام بدأ يختفي من بعض اللغات، مثل: الفارسية، وفقد الجنس مغزاه باعتباره تصنيفاً قواعدياً، ولم يبقَ من النظام القديم آثار سوى تلك الموجودة في الضمائر كما هو الحال في الإنجليزية.

---

[1] Language, by Bloomfield, P. 271.

[2] Ibid P. 280.

[3] فندريس: اللغة ، ص 127.

وانخفض هذا التصنيف من نظام ثلاثي إلى ثنائي كما هو في اللغات الرومانية. فيما حافظت على النظام الثلاثي بعض اللغات، مثل: الألمانية، والسلفانية*.

إنّ تصنيف التذكير والتأنيث يختلف من لغة إلى أخرى لاعتبارات ثانوية في نظام اللغة ذاتها، فبعض التقسيمات مردُّه الصِّغَر والكِبَر، أو القوة والضعف، أو الخشونة واللين.

"ففي لغة بورما أربع عشرة جهة تقسيمية، فالأشياء تنقسم باعتبار التسطُّح والفرطحة، والطول، وكونها للنقل، والحيوانات، والمجموعات، والمركبات، والكهنة والسوقة، وفيها اعتبار تقسيمي خاص لأمراء القصص وأميراته"[1].

"ويُصنَّف الجنس في لغة Abxaz (وهي إحدى اللغات القوقازية) وَفْق ثلاث فئات، هي:

- كائنات حية مذكَّرة.
- كائنات حية مؤنّثة.
- أشياء غير حية.

وتشمل هذه الفئات الثلاث زيادات توافقية معينة، وتتضمن هذه الزيادات: الأمامية، والخلفية والداخلية، ولكن في بعض السياقات. مثل التوافق بين الفعل والاسم يتم تقليص هذه الفئات الثلاث إلى فئتين، هما: الفئة المذكَّرة، والفئة المؤنّثة"[2].

"وتميز لغة الألجونكين (Algonquin) بين جنس حي، وجنس غير حي، ولا يهمها بعد ذلك ما يدخل تحت كل واحد من الجنسين من أشياء، فقد

* السلفانية: لغة تنتمي إلى الفرع السلافي الجنوبي من المجموعة السلطيقية السلافية ضمن العائلة الهندية الأوروبية، وهي من اللغات المستعملة في يوغسلافيا. ينظر: محمد علي الخولي، معجم علم اللغة النظري، ص 260-261.

[1] تمام حسان: مناهج البحث في اللغة، ص 250.

[2] Grammaire Comparée deskabgyes Caucasiennes, by Dumézil, pp. 2-3.

تضع الألجونكين بين الأشياء المدلول عليها بالجنس الحي إلى جانب الحيوان، الأشجار، الأحجار، الشمس، والقمر، والنجوم، والرعد، والثلج، والقمر، والخبز، والولاعة ... .

وتطلق اللغات في الميدان الإفريقي على الجنس اسم "الطبقة"، فاللغات البنطية يسيطر عليها وجود "الطبقات" التي تمتاز كل منها بلاصقة خاصة، وعليها توزّع جميع الكلمات الموجودة في اللغة.

ويعلّل (فندريس) ذلك بأنه محاولة قام بها العقل لتصنيف المعاني المتنوعة التي يُعبّر عنها بوساطة الأسماء، وأغلب الظن أنّ هذا التصنيف يقوم على التصور الذي كان في ذهن السابقين عن العالم، وقد ساعدت عليه بواعث غيبية ودينية"[1].

فالتذكير والتأنيث تطريز اجتماعي، تُداخِل تصنيفاته سياقاتٌ متباينة المسارب تمتح من تفكير الجماعة اللغوية وتصوراتها عن الكون والأشياء.

تصنيف الجنس في العربية:

تميّز العربية بين الجنس تصنيفاً واصطلاحاً، فالتذكير: "خلاف التأنيث والذكر خلاف الأنثى، والجمع ذكور وذُكورة، وذُكْران، ويوم مذكّر إذا وصف بالشدة والصعوبة وكثرة القتل.

وقول ذَكَر: صلب متين، وشعر ذَكَر: فحل ورَجُل ذكر، إذا كان قوياً شجاعاً أنفاً أبياً، ومطر ذكر: شديد وابل ... "[2].

"والأنثى خلاف الذكر في كل شيء، والجمع إناث، وأُنث: جمع إناث يقال للرجل: أنّثت تأنيثاً أي لِنْت له، ولم تشدّد.

---

[1] ينظر فندريس: اللغة، ص 130-132.

[2] ابن منظور: لسان العرب، مادة "ذكر".

والتأنيث خلاف التذكير.

وبلد أنيث: ليِّن سَهل، حكاه ابن الأعرابي، وأرض مِئناث وأنيثة سهلة مُنْبِتة، خليقة بالنبات، ليست بغليظة.

وزعم "ابن الأعرابي" أنَّ المرأة إنما سُمِّيت أنثى من البلد الأنيث، قال: لأنَّ المرأة ألْيَن من الرجل، وسُمِّيت أنثى للينها"[1].

فالتذكير تبعاً لذلك معادل للقوة والشدة، والشجاعة، والأَنَفَة والصلابة، أما التأنيث فيلتصق باللين والسهولة، والإنتاج والخِصْب والإنبات. ويتسق هذا التصور وأنظار النحويين الذين قرروا أنَّ التذكير أصل، والتأنيث ثانٍ، وهذا ما هجس به سيبويه: "الأشياء كلها أصلها التذكير، ثم تَخْتَص بعد، فكل مؤنث شيء، والشيء يذكر، فالتذكير أول وهو أشد تمكناً ..."[2].

لعل هذا الفهم النحوي يترسَّم "قصة الخلق الأولى / خلق آدم، واشتقاق حواء الأنثى من ضلعه، فهما من نفس واحدة وفقاً لما جاء في القرآن: (يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة، وخلق منها زوجها، وبثَّ منهما رجالاً كثيراً ونساءً)[3].

فكما أنَّ الذكر أول، وهو أصل الخليقة. والأنثى ثانٍ مُجتَرح من الذكر، كذلك المذكّر في اللغة عمدة الجنس، والمؤنث فرع، وهو محمول على المذكّر. لذا ظل المذكّر بغير علامة للتذكير، "فليس للتذكير علامة لأنه الأصل، وهو الأول، وإنما ألحقوا للمؤنث علامة في الأغلب؛ لأنـــه فرع التذكير"[4].

---

[1] ابن منظور: لسان العرب، مادة "أنث".
[2] سيبويه: الكتاب، 3/241.
[3] سورة النساء: 1.
[4] ينظر: المبرّد: المقتضب 3/35، الرماني: المنخل في النحو 291، الزبيدي: الواضح 223.

أضرب المذكّر والمؤنّث:

يتوزّع الجنس في العربية على صنفين رئيسين، هما:

1. الحقيقي *2. المجازي.*

"*أما الحقيقي* فما كان في الرجل والمرأة، وجميع الحيوان، لأنك لو سميت رجلاً "طلحة" لخبّرت عنه كما يخبّر إذا كان اسمه مذكّراً، ولو سميت امرأة أو غيرها من إناث الحيوان باسم مذكّر لخبّرت عنها كما كنت تخبّر عنها واسمها مؤنّث"[1].

وهذا الصنف "يُعْرَف قياساً وسماعاً وطِبَاعاً، كانت فيه علامة التأنيث أو لم تكن.

وقد حُدّد المذكّر الحقيقي بأنه "ما كان من الحيوان مثل الذكور"[2].

أما المؤنّث الحقيقي فهو "ما بإزائه ذكر في الحيوان"[3].

لعل معيار العلماء في هذا التصنيف كان منضبطاً واضحاً؛ لأنّ ذلك مرتبط بالجانب المادي، يقول ابن يعيش: "المؤنّث الحقيقي والمذكّر الحقيقي معلومان؛ لأنهما محسوسان وذلك ما كان للمذكّر فيه فَرْج خلاف فَرْج الأنثى، كالرجل والمرأة"[4].

وفصّل "ابن السّراج" بأن المؤنّث الحقيقي يأتي على ضربين:

– بعلامة

– وغير علامة"[5].

والعاري من العلامة يُعْرف تأنيثه:

---

[1] المبرّد: المقتضب 348/3.

[2] الصيمري: التبصرة والتذكرة، 613/2.

[3] الزمخشري: المفصل، 237.

[4] ابن يعيش: شرح المفصل، 62/5.

[5] ابن السراج: الأصول في النحو، 407/2.

بالإشارة إلى مسماه في القرب بـــ "ذي"، وفي البعد بـــ "تلك"، ويساوي الاستدلال بالإشارة الاستدلال بالضمير، وبالوصف، وبالخبر، وبالحال، وبسقوط التاء في العدد من الثلاثة إلى العشرة.

وبظهور التاء في التصغير إن كان المصغّر ثلاثياً"[1].

أما الصنف الثاني: فهو المجازي (المذكّر والمؤنّث غير الحقيقيين).

وهو خلاف ما ذُكِر آنفاً، إذ لا مميز ولا ضابط ينتظمانه، لأنه لا يدل على ذات حقيقية أو محسوسة، وأُلحق بالمذكّر والمؤنّث على سبيل "المجاز"، فهو موقوف على الوضع والاصطلاح.

وهذا الصنف أشكل على اللغويين والنحويين، فأفردوا له المصنفات والرسائل؛ رغبة في ضبطه وتقييده، حتى ليخال للخاطر الأول أنّ مسألة التذكير والتأنيث قد خُصِّصَت للمجازي، فإذا مرّ اللغويون والنحويون بالمذكّر والمؤنّث الحقيقيين، مرّوا سِراعاً، ولم يُطيلوا المُكْث في مدارسة هذا الضرب، وكأن الجنس الحقيقي معلوم من اللغة بالضرورة، وإذا همّوا بمعالجة المجازي أفاضوا فيه مقاربة وتعليلاً وتصنيفاً.

ولا تثريب في ذلك، فمعرفة التذكير والتأنيث عُدّة الفصيح، بل تتقدم على معرفة الإعراب في العربية، وهذا ما قرّره أبو حاتم السجستاني:

"أول الفصاحة معرفة التأنيث والتذكير في الأسماء والأفعال والنعت قياساً وحكاية، ومعرفة التأنيث والتذكير ألزم من معرفة الإعراب"[2].

وينضاف إلى الصنفين الرئيسين للجنس في العربية: المذكّر والمؤنّث الحُكْمي، والمذكّر والمؤنّث التأويلي*.

---

[1] ابن مالك: شرح عمدة الحافظ وعدة اللافظ، ص 826-827.

[2] أبو حاتم السجستاني: المذكّر والمؤنّث، 35-36.

- يُعرف المؤنّث الحُكْمي بأنه ما كانت صيغته مذكّرة، ولكنها أضيفت إلى مؤنّث فاكتسبت التأنيث بسبب الإضافة، كقوله تعالى: {وجاءت كل نفس معها سائق وشهيد}[1]، فكلمة "كل" مذكّرة في أصلها، ولكنها في الآية اكتسبت التأنيث من المضاف إليه المؤنّث "نفس" [2].
- **المذكّر الحُكْمي:** وهو ما كانت صيغته مؤنّثة في أصلها، ولكنها أُضيفت إلى مذكّر فاكتسبت التذكير من إضافته إلى اسم مذكّر، كقول الشاعر:

إنارةُ العقلِ مكسوفٌ بطوعِ هوىً   وعقلُ عاصي الهوى يزداد تنويرا"[3]

فكلمة "إنارة" مؤنّثة، ولكنها اكتسبت التذكير بإضافتها إلى العقل، فجاءت "مكسوف" مذكّرة لذلك.
- **المؤنّث التأويلي:** ما كانت صيغته مذكّرة في أصلها اللغوي، ولكن يراد لسبب بلاغي تأويلها بكلمة مؤنّثة تؤدي معناها، مثال: "أتتني كتاب أُسَرُّ بها ... يريدون: رسالة"، ومثل قولهم: هذه الحرف: نحت يريدون به الكلمة"[4].
- **المذكّر التأويلي:** ما كانت صيغته مؤنّثة في أصلها، ولكن اكتسبت التذكير بتأويلها باسم مذكّر، نحو قولك: " (ثلاثة أنفس)، والنفس مؤنّثة، ولكن تم تأويلها بالشخص"[5] وهو مذكّر.

---

* استعرت مُصْطَلَحَيْ "المذكّر الحكمي" و "التأويلي" من: عباس حسن: النحو الوافي، 589/4.

[1] سورة ق: 21.

[2] الثعالبي: فقه اللغة وسر العربية، ص 332.

[3] البيت بلا نسبة في مغني اللبيب لابن هشام 512/2، وفي الأشباه والنظائر للسيوطي 263/5 ؛ وفي خزانة الأدب البغدادي: 227/4، 106/5.

[4] ابن جني: الخصائص، 418/2.

[5] الثعالبي: فقه اللغة وسر العربية، ص 332 .

أنظار العلماء في تصنيف الجنس:

لم يقتصر الاهتمام بمسألة التذكير والتأنيث على حقبة دون أخرى، بل ظل الجهد موصولاً قديماً وحديثاً، فبذل السابقون الوسع كله لمدارستها، وتبعهم جيل من المستشرقين والمحدثين العرب؛ رغبة في استجلاء مسألة الجنس في اللغة، والوقوف إلى كنهها.

إنّ هذه الإلماعات التي ظفرت بها مسألة الجنس، أسهمت في تنوُّع الرؤى، وتفسير بعض ما اعتورها. وقد اكتست هذه المقاربات بمُسْحة دينية وغيبية، وانتحى بعضها وجهة أسطورية وذهنية مجردة.

وأحسب أنّ عرض بعض ما قيل في المسألة يُجلّي بيّناتها.

- رأي (A. Guny, M. Feghali)

"نشر هذان العالمَان الفرنسيان دراسة حول مسألة الجنس في اللغات السامية، اعتمدا فيها أفكار مييه (Meillet) حول تطور الجنس في اللغات الهند أوروبية القائلة: بأنّ أول تقسيم للأسماء هو تقسيمها إلى حية وغير حية. ويرى العالمَان أنّ فئة الكلمات التي تعود على الأحياء تنقسم إلى مذكّر ومؤنّث، وأن الفئة العائدة على غير الأحياء أصبح معظمها مؤنثاً، لكن بعضها، احتفظ بالتذكير.

ويذهب هذان العالمَان إلى أنّ جميع التطورات هذه حدثت قبل أن تنقسم السامية إلى لغات مفردة"[1].

- رأي (E.A. Sepeiser)

يُقرِّر (سبيزر) في مقاله حول دراسات في الأنماط السامية: "أنّ ضمائر الاستفهام محتفظة بالصورة للغات السامية، فضمير الاستفهام للشخص

[1] Grammatical Gender, by, M.H. Ibrahim, PP. 42-43.

هو ضمير واحد، وذو شكل واحد كذلك للمذكّر والمؤنّث، ففي الضمائر الشخصية لا يوجد تفريق في الجنسين عندما يكون الضمير هو ضمير المتكلم؛ لأنّ جنس المتكلم واضح في جميع الأوقات للمستمعين"[1].

- رأي (Louis. H. Gray)

يذكر "لويس. هـ. جراي" أنه يوجد نوعان فقط من الجنس على امتداد الحقبة الزمنية للغات السامية، وفي أغلب الأحيان فإنّ ذكور الكائنات الحية الفعّالة والأشياء التي يأخذها العقل الفطري بعين الرعاية مذكّرة، ومن وجهة أخرى فإنّ إناث الكائنات الحية والأشياء التي تَعُدُّها الفطرة أنثى كذلك الأسماء المجردة وصيغ التحقير..."[2].

"ويبدو أنّ مُلازَمَة اللواحق للأنثى إشارة إلى كونه كائناً غير نشيط في ذاته، لا بل غامض وعام، وغير مكتسب أي فعالية. أمّا الاسم المذكّر فيُعَدُّ كائناً حياً نشيطاً.

وتوزع "المحايد" طبقاً لهذه النظرة. فما هو سلبي يُلْصَق بالكائنات الأنثوية؛ لأنّ السلبية إحدى خصائص الإناث، مقارنة بنشاط الذكر (أي أنّ الأنثى لم يكن يشار إليها بالطريقة التي يشار فيها إلى الذكر بسبب نشاطه ومكانته في المجتمع)"[3].

- رأي (Albrecht)

يرى الباحث الألماني بالساميات "ألبريخت" "أنّ التذكير يتم إطلاقه في العبرية، واللغات الأخرى، على كل شيء خطِر، ومتوحش وشجاع، ومحترم،

[1] Studies in Semitic Formatives, by E.A. Sepeiser, P. 33.

[2] An Introduction to Semitic Comparative Linguistcs, by Louis. H. Gray. P. 48.

[3] Ibid, PP. 50-51.

وعظيم وقوي، وذي نفوذ. فيما يُطلَق التأنيث على ما هو أمومي، وإنتاجي، ومتورّد، ولطيف، وضعيف"[1].

- رأي (Moscati)

يذكر "موسكاتي" أنّ تمييز اللغات السامية بين نوعين من الجنس: المذكّر والمؤنّث، وأنّ الذكر لا يصحبه مقطع خاص يوضع في نهايته، كما هو الحال في المؤنّث، إنّ هذا التمييز يعزّز الاحتمال بأنّ أصل ذلك عائد إلى نظام الطبقات"[2].

- رأي (Wensinck)

يعتقد "فنسنك" "أنّ اللغات الساميّة حين خلعت على بعض الأسماء فكرة التأنيث إنما تأثرت في هذا بعوامل دينية، وبأخرى مرجعها التقاليد والمعتقدات العامة التي جعلت الساميين في قديم الزمان يرون أنّ في المرأة غموضاً وسحراً، وينسبون لها من القوى الخارقة ما لم يخطر ببال من جاءوا بعدهم، ثم ضمّوا إلى المرأة كل الظواهر الطبيعية التي خَفِي عليهم تفسيرها"[3].

يُلحظ من آراء المستشرقة أنها تكوكبت حول مفاصل رئيسة هي:

- أنّ الساميين صنفوا المذكّر والمؤنّث بجامع الفعالية أو السلبية.
- تأثّرَ الساميون في تصنيفهم للجنس بنظام الطبقات.
- كان للسحر والعوامل الدينية تأثير في توزيع الجنس على الكائنات.
- ارتبط التصنيف عند الساميين بالخيال الفعال والنشيط.

---

[1] Hebrew Grammar, by E. Kantzsch, Gesenius, P. 391.

[2] An Introduction to the Comparative Grammar of the Semite Language, P 84.

[3] إبراهيم أنيس: من أسرار اللغة، ص 148.

أحسب أنّ المستشرقين قد صدروا في طروحاتهم هذه عمّا أجروه من دراسات (الإناسة) للغات الهندأوروبية، ومن ثم أُسقطتْ هذه النتائج على اللغات السامية مظنّةَ العمق والمشاكلة، بَيْدَ أنّ مسيرة الإنسان في الأحقاب السالفة لم تتطابق لدى جميع الأمم، بل افترقت في نواحٍ تبعاً لعوامل الزمان والمكان، وهذا ما تقرّره دراسات الإناسة.

يرى (ألبريخت) أنّ الساميين أطلقوا التذكير على كل شيء خطر ومتوحش ... والتأنيث على كل شيء أمومي، وإنتاجي، وضعيف ...

يبدو الرأي طريفاً للخاطر الأول، ولكنه لا يطرّد، فهناك كلمات كثيرة تدل على الوحشية والقوة والخطورة ارتبطت بالمؤنث، كالحرب، والصحراء والسلاح.

أمّا من أحال التقسيم عند الساميين على أساس الطبقات وأقل القيمة، فإنّ مزيداً من لُطف النظر في حفريات المعرفة (أركيولوجيا المعرفة) لدى الساميين عامة وللعرب خاصة يقفنا إلى أنّ هذه الأقوام قد مرّت بالمرحلة الأمومية (المتريركية)، إذ طغت الأنثى على عبادة الذكر، فهي التي اكتشفت الزراعة في العصور الحجرية الوسيطة، وهي التي كانت تنهض بأعبائها في بادئ الأمر؛ كونها أكثر التصاقاً بالأرض من الرجل الذي كان يسعى وراء الطرائد.

وتمدُّنا البيّنات الأثرية في المشرق العربي بأدلة على مركز الأم في هذه المجتمعات، وكيف أنّ الإله الذَّكَر ظل خاضعاً للآلهة الكبرى، "لأنّ مفهوم الأبوة كان ما يزال غامضاً مع غموض الرجل في عملية التلقيح ..."[1].

فكيف ارتبطت – كما رأى بعض المستشرقين– المرأة ولواحق التأنيث بأقل القيمة، وقد انتسب عرب ما قبل الإسلام إلى قبائل سُمّيتْ بأسماء مؤنّثة؟، بَلْه إنّ كثيراً من آلهتهم كانت مؤنّثة كاللاّت، والعُزّى، ومَنَاة.

[1] ينظر: علي الشوك: جولة في أقاليم اللغة والأسطورة، ص8- ص15.

- The Sacred Mushroom and the Cross, by John Allegro, P.24.

لم تنفرد الأنثى باللواحق، بل التصقت بكثير من المفردات التي أدّت دلالة المذكّر نحو: "رجل أمَنَة (يأمن الناس). وضُحَكَة (يضحك من الناس) وهُزَأة، وهُذَرَة، ولُوَمَة ... "[1].

أحال بعض المستشرقين التصنيف إلى السحر والغموض اللذين يكتنفان المرأة، فَخلَع على كل غامض وخفي صيغة التأنيث، فأي غموض يَعتَوِر الأرض التي نتعاطاها صباح مساء، فألِفْنَاها وألِفَتْنَا؟.

ولماذا لم يطلق الساميون – تأسّـياً بهذه الوجهة – التأنيث على البحر، والإعصار والجبال، والرعد، والبرق؟.

لعل هذا الانشعاب في تفسير الظاهرة صادر عن عدم التناظم بين الجنس الطبيعي والجنس النحوي، واقتصار اللغات السامية على صنفين رئيسين لتصنيف الجنس.

أشرتُ في البَدْء أنّ مسألة الجنس حظيت بأنظار عديدة قديماً وحديثاً، وقد أومأتُ إلى جهود السابقين والمستشرقين، ولعل عَرْضاً لبعض جهود المحدثين العرب يُحقّق ما نهجس به "بأنّ مسألة الجنس قد حظيت باهتمام ورعاية من الدارسين عَبْر تراسل الدهور".

- رأي إبراهيم أنيس:

يتلخّص رأي إبراهيم أنيس في "أنّ ظاهرة التأنيث والتذكير تتجه نحو الصلة العقلية بين الأسماء ومدلولاتها. فالأسماء المجازية في العربية تميل في تطورها إلى الاستقرار، مثل: الطريق، والعسل، والروح، والخمر.

ويؤيّد ذلك اللغات السامية، إذ إنّ بعض الكلمات كانت في الأصل مؤنّثة ثم أصبحت مجازية التذكير والتأنيث، كالشمس في العبرية والآرامية[1].

---

[1] ينظر: ابن الأنباري: المذكّر والمؤنث، ص567-592.

ذهب إبراهيم أنيس إلى أنّ التطور في ظاهرة التأنيث يتجه نحو الصلة العقلية المنطقية، فأين المنطق حينما تتباين اللغات داخل الأسرة الواحدة – كاللغات السامية– حول العديد من المسميات؟ فالقمر في العربية مذكّر، وفي العبرية مؤنث والحَرْبَة مؤنثة في العربية، مذكّرة في السريانية، والبقر في العبرية يذكّر ويؤنّث أما العربية فتذكّرها، والسريانية تؤنثها.

ما ذكره إبراهيم أنيس أنّ استقرار الحال على التذكير، لا يُؤْخَذ على إطلاقه، فإذا كانت الخمر، والطريق، والسكين ... وغيرها من الألفاظ يجوز فيها التذكير والتأنيث، فإنّ العامة تستعملها استعمالاً آخر، فتقول: هذه خمرة لذيذة، وطريق وَعْرة، وسكّينة حادّة.

- رأي عصام نور الدين:

قدّم عصام نور الدين عدداً من المصنفات عُنيت بمسألة الجنس في العربية، نحو: "مميزات التذكير والتأنيث"، و"مصطلح التذكير والتأنيث"، و"مصطلح المحايد" ... يذكر عصام نور الدين في أثناء حديثه عن "المحايد":

"**العاتق**: يَذْكُر (ابن جني) الوجهين، ولكنه يقدّم التذكير بقوله: العاتق يُذكّر ويؤنّث، ومع ذلك فأنا أذهب إلى أنّ التذكير هو الأصل، أما التأنيث فدفعُ بعضهم إلى القول به انحرافٌ لغويٌّ قاله أحد الفصحاء، أو أنّ بعضهم ادّعاه ليسوّغ زلة لسان، أو خطأً وقع فيه، فالوجه أن يُستعمل التذكير، ويُهمَل التأنيث.

أما التأنيث فلا يعدو كونه لُغيّة، أو انحرافاً لغوياً لا يُعتَدُّ به، حتى لو كان صحيحاً فيجب عدم الوقوف عنده لمخالفته روح اللغة واتجاهها التطوري.

[1] ينظر: إبراهيم أنيس، من أسرار اللغة، ص146 – ص 147.

والقفا يذكَّر ويؤنَّث: لكن قارىء المادة في نصوص اللغويين، يرى أنّ التذكير هو الأصل، وأنّ التأنيث هو لُهَيْجة وإن شئت هو انحراف لغوي لقبيلة لا يُعتدّ بكلامها...

يَخْلُص الباحث إلى القول: فمذهب اللغة التطوري كما نفترضه يذهب إلى التذكير، ولا يَعْتَدُّ بالتأنيث الذي إنْ وجد فلا يعدو كونه انحرافاً لغوياً لا تبنى عليه قاعدة ... عدا ما قد يوقع باللغة من الغموض والاضطراب في حال الأخذ به ... "[1].

يصدر عصام نور الدين في وجهته عن مقولة تقرِّر أصالة التذكير للمحايد (المجازي من المذكّر والمؤنّث)، وأنّ التأنيث شذوذ عن القاعدة.

لو صح ما انتحاه الباحث، فلمَ عنّى السابقون واللاحقون أنفسهم في البحث والتنقير للخلوص بضابط جامع، أو معيار مطّرد للمجازي من المذكّر والمؤنّث (المحايد)؟

أظن أنّ حسم ما أشكل من ظواهر يقتضي تروياً وأناة، فكيف يَعْتَدُّ عصام نور الدين التأنيث انحرافاً لغوياً، أو هو لُغَيَّة، وقد جاء على لسان قبيلة "عُكل"؟ وهي من القبائل الفصيحة التي يُستَشْهَد بكلامها في الدرس اللغوي.

ما ذكره الباحث باستقرار المحايد على التذكير، ومثّل علـى ذلك بالعاتق والقفا، لا يتطابق والواقع اللغوي.

ذكر الأصمعي: "القفا مؤنّثة، ولا يذكِّرها أحد"[2].

ومن العلماء من أجاز التذكير والتأنيث، ولم يُرجِّح وجهاً دون آخر.

لقد قمتُ بإحصاء للمذكّر والمؤنّث المجازيين في كتب التذكير والتأنيث، وانتهيتُ إلى عددٍ من الإشارات:

[1] عصام نور الدين: "المحايد" أو المذكّر والمؤنث من غير الحيوان، مجلة دراسات عربية، ع (7-8) 1988م، ص32-ص34.
[2] السجستاني: المذكّر والمؤنث، ص 113.

- ما يذكّر من أعضاء الإنسان 49 مفردة
- ما يؤنّث من أعضاء الإنسان 56 مفردة
- ما يذكّر ويؤنّث من أعضاء الإنسان 19 مفردة
- ما يذكّر من سائر الأشياء 58 مفردة
- ما يؤنّث من سائر الأشياء 108 مفردة
- ما يؤنّث ويذكّر من سائر الأشياء 91 مفردة

فهل بمُكنتنا رد 164 مفردة مؤنّثة، وعدّها انحرافاً لغوياً على الرغم من أنها سُمعَتْ من عرب فصحاء؟

فالرغبة في التيسير غاية تُرتَجى، بَيْدَ أنها معجزة المؤونة ما لم تتسق والواقع اللغوي. فمنهج اللغة التطوري ينطلق من روح اللغة وواقعها، وينأى عن الانطباع المُجرَّد.

الجنس الطبيعي والجنس النحوي:

قسّمت العربية الجنس إلى مذكّر ومؤنّث، وما لم تنتظم في المذكّر والمؤنّث الحقيقيين وزّع كذلك على المذكّر والمؤنّث.

وأفضت هذه الطريقة إلى فوضى واضطراب؛ لأنّ التذكير والتأنيث من خصائص الأحياء، فإنْ أُطلق على غير ذلك فعلى سبيل المجاز، ذكر "ابن رشد":

"التذكير والتأنيث في المعاني إنما يوجد في الحيوان، ثم قد يُتجوّز في ذلك في بعض الألسنة فيعبّر عن بعض الموجودات بالألفاظ التي أشكالها أشكال مؤنّثة، وعن بعضها بالتي أشكالها أشكال مذكّرة. وفي بعض الألسنة ليس يُلفى فيه للمذكّر والمؤنّث شكل خاص، كمثل ما حُكيَ أنه يوجد في لسان

الفَرس، وهذا يوجد في الأسماء والحروف، وقد يوجد في بعض الألسنة أسماء هي وسط بين المذكّر والمؤنّث، على ما حكي أنه يوجد كذلك في اليونانية"[1].

إنّ اقتصار اللغة على جنسين وحسب قد أعقب إشكالاً خالط هذه المسألة، لـــذا تباينت آراء الدارسين حول هذا الضّرْب من الأسماء، فمنهم من قال بتذكير لفظة ما، ومنهم من مال إلى تأنيثها، وبعضهم أجاز الوجهين، وكل فريق يستند فيما ذهب إليه على ما رُوي عن العرب.

- **فالأضحى**: تذكّره قيس عَيْلان. وتؤنّثه تميم. قال الفرّاء: "اجتمع عندي أعرابيان مسنّان قيسي وتميمي، وقد جاوز كل منهما التسعين فسألتهما عن الأضحى، فقال التميمي: دَنَت الأضحى. وقال القيسي: دنا الأضحى"[2].
- **الثمر**: تميم تقول هو الثمر فتذكِّر، وأهل الحجاز يقولون هي الثمر فتؤنِّث.
- **السُّوق**: جاء في الصحاح: "قال الأخفش: أهل الحجاز يؤنِّثون الطريق والسراط، والسبيل، والسُّوق، والزقاق، والكلاّء – وهو سوق البصرة – وبنو تميم يذكِّرون هذا كله"[3].
- **الشعير**: يذكّره أهل نجد، ويؤنِّثه غيرهم"[4].
- **العنق**: تميم وربيعة يقولون: هو العُنْق بضم العين وإسكان النون، وأهل الحجاز يقولون: هي العُنُق بضم العين والنون، وبنو أسد يقولون: هو العُنُق بضم العين والنون ويذكّرون"[5].

[1] ابن رشد: تلخيص الخطابة، 275.

[2] ابن السيد البطليوسي: الخلل في إصلاح الخلل، 43/1.

[3] الجوهري: الصحاح مادة "زقق".

[4] ابن التستري: المذكّر والمؤنث، ص 86.

[5] الفرّاء: المذكّر والمؤنث، ص 73.

أرى أنّ انتفاء صفة الذكورة والأنوثة الحقيقيتين عن هذه الألفاظ وغيرها أفضى إلى حالة من التشرذم والتشظي، وقد صرّح بذلك الفرّاء "العرب تجترئ على تذكير المؤنّث، إذا لم تكن فيه الهاء"[1].

لم يكن التباين اللّهجي في تصنيف الجنس وقفـاً على العربية، بل نلّحظ هذه الظاهرة في اللغات السامية. فما العلة التي جعلت الشمس مؤنّثة، والقمر مذكّراً كما في العربية؟* على الرغم من تأنيث العبرية للشمس تارة وتذكيرها تارة أخرى sémeš ، أما القمر في العبرية فمؤنّث libana.

والشمس في الأكّادية مذكّرة šamša، وكذلك في الآرامية.

والبطن في العربية مذكّر، وفي العبرية مؤنّث béten.

والكبد في العربية مؤنّث، وكـذلك في الـسريانية kabdā، لكنـه في العبريـــة مذكّر kabed"[2].

إنّ هذا التباين بين الأسرة اللغوية الواحدة، أسهم في ورود ألفاظ في هذه اللغات تؤنّث وتُذكّر في الآن ذاته.

---

[1] الفرّاء: المذكّر والمؤنّث، ص 81.

* أورد أبو حيان التوحيدي سؤالاً حول علة تأنيث العرب للشمس وتذكيرهم للقمر واتفاق المنجّمين على عكس ذلك وهو تذكير للشمس وتأنيث القمر، فأجابه مسكويه بقوله: "أما النحويون فلا يعللون هذه الأمور، ويذكرون أنّ الشيء المذكّر بالحقيقة ربما أنثه العرب والمؤنّث بالحقيقة ربما ذكّرته العرب، فمن ذلك أنّ الآلة من المرأة بعينها التي هي سبب تأنيث كل ما يؤنث هي مذكّر عند العرب، وأما آلة الرجل فلها أسماء مؤنّثة، ولكنّ الشمس التي قصد السائل قصدها بعينها، فإني أظن السبب في تأنيث العرب إياها أنهم كانوا يعتقدون في الكواكب الشريفة أنها بنات الله – تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً – وكل ما كان منها أشرف عندهم عبدوه، وقد سمّوا الشمس خاصة باسم الآلهة، فإنّ اللات اسم من أسمائها فيجوز أن يكونوا أنثوها لهذا الاسم، ولاعتقادهم أنها بنت من البنات، بل هي أعظمهن عندهم". الهوامل والشوامل – ص266-268.

[2] ينظر: مجموعة من المؤلفين: نحو اللغات السامية، ترجمة مهدي المخزومي وعبد الجبار المطلبي: ص145 – ص148.

ففي العربية فيض من الألفاظ تذكّر وتؤنّث نحو:

- **الأنعام**: قال يونس والأخفش، وأبو بكر بن الأنباري[1]، وأبو البركات الأنباري[2] إنّ الأنعام تذكّر وتؤنّث.
- **الجحيم**: هو النار المتلظّية ، قالوا: الجحيم: يذكّر ويؤنّث[3].
- **السبيل**: يذكّر ويؤنّث[4].
- **السلطان**: يذكّر ويؤنّث[5].
- **الصراط**: أهل الحجاز يؤنّثون الصراط، وبنو تميم يذكّرونها"[6].

وفي العبرية ألفاظ تذكّر وتؤنّث[7]، منها:

rūwah	روح وريح
déreh	طريق
ʿēṣem	عظم
ʾofannāyim	دراجة
rĕhōb	شارع
mahaneh	جيش
šĕʾōl	جهنم، ضريح

[1] المذكّر والمؤنّث، ص 346.
[2] البُلغة في الفرق بين المذكّر والمؤنّث، ص68.
[3] أبو بكر بن الأنباري: المذكّر والمؤنّث، ص371.
[4] المفضل بن سلمة: مختصر المذكّر والمؤنّث، ص56.
[5] ابن سيده: المخصص: 17/ ص15.
[6] الأخفش: معاني القرآن 1/ ص 17.
[7] See: An Introdution to Semitic Comparative Linguistcs, by Gray, PP 48-52.

ونجد هذه الظاهرة في الآرامية[1]، نحو:

ʾār	هواء
herbā	سيف، حربة
oehrā	قمر
ruhā	روح
semiā	سماء

وتشارك السريانية غيرها من اللغات السامية في هذه الظاهرة[2]، مثل:

rūḥā	الروح
šimšā	الشمس
kištā	القوس
smayā	السماء
gamlā	الجمل

لعل ما رشح من هذه الإلماعات يفضي إلى أنّ اللغة لا تسير وفْق منطق عقلي في تعاملها مع الجنس المجازي، فليس ثمة قرينة بين الجنس الطبيعي والجنس النحوي، مما دعا إلى جمع هذه الألفاظ – التي لا تنتظمها قاعدة– في رسائل ومختصرات حتى تؤخذ رواية وسماعاً؛ لأنّ الإلمام بهذه الألفاظ عُدّة اللافظ وشرط من شروط الفصاحة، وهو من تمام معرفة النحو والإعراب. ذكر أبو بكر بن الأنباري:

[1] ينظر: يعقوب أوجين منا: الأصول الجلية في نحو اللغة الآرامية، ص14-15.

[2] ينظر: إسماعيل عمايرة: ظاهرة التأنيث بين اللغة العربية واللغات السامية، ص20.

"إنّ من تمام معرفة النحو والأعراب معرفة المذكّر والمؤنّث لأنّ من ذكّر مؤنثاً أو أنّث مذكّراً كان العيب لازماً له كلزومه من نصب مرفوعاً أو خفض منصوباً أو نصب مخفوضاً..."[1].

لقد أشكلت الألفاظ المجازية في مسألة الجنس على الدارسين؛ لغياب الصلة المادية بينها وبين الجنس النحوي، مما دفع المستشرق "وليم رايت" إلى إفراد صنف ثالث يضم المحايد من الألفاظ، فهو يقسّم الجنس في العربية إلى ثلاثة أقسام: مذكّر ومؤنّث، وأسماء تذكّر وتؤنّث وهو ما يُدعى بالمشترك الجنسي، وفي اللغات السامية أسماء يطلق عليها المحايد"[2].

ما هجس به "وليم رايت" يَعْضُد المقولة الآنفة أنّ الجنس النحوي لا يصلح ولا يدل دلالة طبيعية أو عقلية على الجنس الطبيعي.

فلا طائل من الإيغال في بحث ماهية التذكير والتأنيث المجازيين؛ لغياب القرائن الموصلة إلى الحقائق. وكان يتعين أن يُفرد لهذا النوع من الألفاظ قسم خاص يسمى بالمحايد، ينتظم المذكّر والمؤنّث المجازيين؛ رفعاً للّبس، وأدعى للتقعيد.

---

[1] المذكّر والمؤنّث، ص 87.

[2] The grammar of the Arabic Language, by, W. Wright, P. 1/177.

الثقافة، اللغة، التحيُّز:

شغلت الثنائيات الوجودية قسطاً وفيراً من النظر والدرس، فأولاها الإنسان منذ البَدْء عنايته تحت مسميات عديدة وأشكال متنوعة، منها الأسطوري والفلسفي، ومنها الاجتماعي. فصار يستبطن عوالمها لاكتناه هذه المعادلة المتكاملة تارة، والمتباينة تارة أخرى.

وربما كانت ثنائية الذكر/ والأنثى من أكثر القضايا إلحاحاً في التفكير والمثاقفة، وستظل تملأ الدنيا وتشغل الناس ما بقي التنافس؛ لانطوائها على تداعيات ماضوية، فقد رافقت وجود الإنسان، وأخذت بالتنامي والتشابك لالتباس مفرداتها، وتباين الشريكيين في رؤية كل منهما للآخر، وطبيعة الدور المنوط بهما في صياغة الحياة.

لأجل ذلك برزت قضية "التحيُّز الجنسي"، وتراحبت الدراسات النسْوية في سياق تخصصات معرفية متنوعة؛ لتعديل المنطلقات السائدة والأفكار المستكنّة عن الذكورة والأنوثة. وتكمن أهمية المراجعة في أنها لا تستقرىء قضية نصف المجتمع، وإنما قضية المجتمع كله منظوراً إليها من زاوية الصياغة الثـقافية لمفهوم الجنسين والعلاقة بينهما.

لم تقتصر هذه المدارسات على علم دون آخر، بل انبرت علوم عديدة لبحث هذه الإشكالية، "فعاينها علماء اللغة، والاجتماع والإناسة، وانضم إليهم علماء النفس والتربية، والأسلوبية والنقد الأدبي، ولعل ما أذكى هذه القضية هو نهوض حركات نسوية تسعى إلى إقامة المساواة بين الجنسين"[1]، وتسليط الضوء على الحَيْف الذي أعقبته الدهور تجاه المرأة.

---

[1] يُنظر: أحمد مختار عمر: اللغة واختلاف الجنسين، ص8.

وصاحب الاهتمام بتحرير المرأة العناية بلغتها ورصد الفروق اللغوية بين الجنسين، والوقوف على معالم الجنوسة* بوصفها عاملاً تحليلياً يكشف الفرضيات المتحيّزة في فكر الثقافة عموماً والغربية خصوصاً.

رأت الحركات النسوية أنّ التحيُّز للذكورة مكّن الرجال من السيطرة على الأعمال المهمة والوظائف المتحكمة، ومحاولة إقصاء المرأة عن المنافسة، مما حَرَمَها من فرصة الظهور العام، ومنعها من الحضور في عالم الشهود لتشكيل الواقع، فظلّت ثاوية على حواف الذاكرة، فإنْ همّت بالتفكير فعقلها خَدَاج، وإنْ طمحت فإنجازها منزوع القيمة والأهمية، وإنْ تحدثت فكلامها ثرثرة ولغو.

إنّ هذا الترسيم لأدوار الذكر والأنثى ليس من تبعة الحاضر، بل هو وليد الفكــر الإنساني عبْر ركامه المعرفي، فقد أطبقت المجتمعات على تفضيل الذكر على الأنثى، واصطبغت بهذا الاعتقاد الأنظارُ الفكرية، ولا سيما التصنيفات اللغوية، فقسّمت الجنس إلـــى مذكّر ومؤنث، واتخذت من الذّكر أصلاً للمؤنّث.

ويُستَشَفّ من هذا التقسيم خفايا تتجاوز حدود اللغة، لتمتد في سندها إلى بَدْء التكوين وباكورة الخلق. "فالأصالة والفرعية" التي اتكأت عليها الأجيال للتعاطي مع الجنسين ليست منفصلة عن قصة خلق آدم، واشتقاق حوّاء من ضلعه، فهذه القصة وما أُسبغ عليها من تحويرات أسطورية

* الجنوسة: يعود المفهوم في أصله إلى مصطلح لغوي الــذي يشير إلى تقسيم ضمني في النحو القواعدي اللغوي. إذ هو في اللغات الغربية السائدة اليوم مشتق من المفردة اللاتينية التي تعني النوع أو الأصل (genus) ثم تمأثر سلالياً عبر اللغة الفرنسية في مفردة (gender) التي تعني أيضاً النوع أو الجنس؛ وتمحورت حوله – بعد ذلك – الدراسات النسوية في المجالات كافة السياسية والاجتماعية والاقتصادية واللغوية والدينية .... ، ولعل المحرّك الأساسي لكل هذه الدراسات الدعوة التحررية التي تبنتها الحركات النسوية في تركيزها على مفهوم الجنوسة؛ لكشف الفرضيات المتحيّزة المسبقة في فكر الثقافة عموماً والغربية خصوصاً. ينظر: ميجان الرويلي، وسعد البازعي: دليل الناقد الأدبي، ص83–ص85.

وتوراتية تُعَدّ المرجع المؤسّس لأدوار الجنسين في الحياة منذ طفولة البشرية حتى عصر الانفجار المعرفي.

لذا أرى أنّ في استدعاء هذه القصة تجلية لماهية العلاقة بين الذّكر والأنثى. تَذْكُر التوراة: " *أنّ الرب الإله جَبَلَ آدم من تراب الأرض، ونفخ فيه نسمة حية، فأخذه ووضعه في جنة عدن*"[1].

"*وقال الرب الإله ليس جيداً أنْ يكون آدم وحده، فأصنع له معيناً نظيره، فأوقع الرب الإله سباتاً على آدم فنام، فأخذ واحدة من أضلاعه، وملأ مكانها لحماً، وبنى الرب الإله الضلع التي أخذها من آدم امرأة، وأحضرها إلى آدم، فقال آدم: هذه الآن عظم من عظامي، هذه تدعى حوّاء امرأة؛ لأنها من امرىء أخذت*"[2].

"*وكان الرب الإله منح آدم وحوّاء أنْ يأكلا من شجر الجنة فاكهتها، وألاّ يقربا من شجرة معينة، فلما أراد إبليس أن يستذلهما دخل في جوف الحية، فقال لحوّاء على لسان الحية: ألم يحظر عليكما الله أكل الفاكهة؟ أجابتها حوّاء: كلا، بل نصحنا بالابتعاد عن شجرة معينة في وسط الجنة، وإلا كانت عاقبتنا الموت، قالت الحية/ الشيطان: إذن فقد خذلكما الله؛ لأنّ ثمرها لا يسبب الموت بل يُورث الحكمة، إنه يريد أن يبقيكما في جهل مُطْبق، واقتنعت حوّاء بأكل الفاكهة، ومارست الإغراء الجنسي لإقناع آدم بأكل الفاكهة*"[3].

وتتابع الرواية التوراتية صياغتها لخروج آدم وحوّاء من الجنة:

"*فبعد أنْ تناول آدم وحوّاء من ثمرة المعرفة نظر كل منهما إلى الآخر، فأدركا في الحال أنهما عريانان، عند ذلك قطفا أوراق الجنة ليصنعا منها لباساً*

---

[1] سفر التكوين، الإصحاح 16/2.

[2] المصدر نفسه، الإصحاح 16/2-24.

[3] المصدر نفسه، 1/3-6.

لهما، فنادى الرب الإله يــا آدم، أين أنت؟ قال آدم: أنا هنا يا رب، قال ألا تخرج؟ قال أستحي منك يا رب، فسأله الرب ومن أخبرك أنك عريان. هل أكلت من ثمر الشجرة المحرمة؟ فقال آدم: أعطتني حوّاء من ثمر الجنة فأكلت، فقال الرب الإله:

يا حوّاء أنت غرّرت عبدي، فإنك لا تحمليه حملاً إلا كُرْهًا، فإذا أردت أن تضعي ما في بطنك أشرفت على الموت مراراً، تلدين أولاداً، وإلى رَجُلِك يكون اشتياقك، وهو يسود عليك.

وقال لآدم: لأنك سمعت أقوال امرأتك، وأكلت من الشجرة التي أوصيتك ألاّ تأكل منها: ملعونة الأرض بسببك، بالتعب تأكل منها كل أيام حياتك وشوكاً وحسكاً تنبت لك، وتأكل عشب الحقل، حتى تعود إلى الأرض التي أخذت منها؛ لأنك تراب، وإلى تراب تعود ..." [1].

إنّ مقاربة جوانية لقصة التكوين –حسب الصياغة التوراتية– يقفنا إلى جملة من الإلماعات تتمثل في أنّ الأسطورة التوراتية تحمل تعليلاً لجملة من الطباع الملازمة للمرأة، فهي معادل موضوعي للمكر، والدهاء، والخطيئة، وهي التي أوقعت الرجل البريء بحبائلها، فمارست إغواءها الجنسي لتحقيق مآربها. ويبرز الجنس سلاحاً مُلْحقاً بالمرأة، لا مناص عنه لكسب معاركها.

- خروج آدم من الجنة – حسب الصياغة التوراتية – سببه المرأة، لذا حُمّلت خطيئة البشرية، فلولا حواء لم تَخُن أنثى زوجها الدهر كله.
- اقترنت المرأة بالحيّة، وهي دلالة رمزية بين حوّاء التي اشتُقّت من حيّ، والحيّة رمز الخبث والدهاء، فكلتا اللفظتين تنضوي تحت جذر واحد "حي".

---

[1] سفر التكوين: 3/20-21، وينظر أيضاً: الطبري: جامع البيان في أحكام القرآن 1/335-337.

- ثمة ملحظ تومئ إليه الصياغة التوراتية هو تقسيم الأدوار بين الجنسين، فالرجل كما قرَّر – إله التوراة– هو سيد المرأة ومآلها، والمرأة موقوفة على الإنجاب وتحمل المشاق؛ تكفيراً عن الخطيئة التي أقدمت عليها، فلولا حوّاء ما حاضت امرأة، ولا اقترفت أنثى فاحشة.
- إنَّ المرأة – وَفْقَ الأسطورة التوراتية– هي قرين الشيطان، وسلاحه الأمضى؛ لذا رَشَحَ في المخيَّال الشعبي أنَّ النساء حبائل الشيطان، وما آيس الشيطان من شيء إلا أتاه من النساء.
- وما يُستَشْعر من الصياغة الأسطورية هو قسوة الإله، فهو لا يَقْصُر عقابه على آدم وحوّاء، بل يُحلّ العقوبة على ذراريهما من بعد، فضَرَبَ اللعنة على المرأة أينما حلَّت؛ لأنها سبب شقاء الإنسان.

ولعل هذه الأسطورة أفضت بالقديس (ترتولين) إلى القول:

"يستمر إلى اليوم توبيخ الله لكنَّ ولجنسكنَّ عامة، لذا يجب أن يبقى في نسلكنَّ الشر والحقد. أنتنَّ أيتها النساء مدخل للشيطان، اللاتي قطفتنَّ من ثمار الشـجرة الممنوعة، أنتن حطمتنَّ القانون الرباني، أنتنَّ اللاتي خدعتنَّ آدم؛ وذلك قبل أنْ يبدأ الشيطان حملاته، أنتنَّ اللاتي أضعتنَّ أسماء الله بسهولة كاملة. إنَّ شقاء الموت يرجع لعملكنَّ القبيح، وحتى موت ابن الله يرجع لعملكنَّ الشنيع" [1].

أسهمت الأسطورة التوراتية في صياغة الرؤى حول الرجل والمرأة فيما بعد، وكأنها ناموس رباني راتب، وهذا ما نلمحه في الأدبيات الدينية والشعبية، ففي رسالة بولص لأهل كورنثوس مُسْحة توراتية عن العلاقة بين الجنسين، يقول بولص:

---

[1] أمل الشبيبي: المرأة في ظلال الأديان، مجلة تايكي، منشورات أمانة عمان الكبرى، ع6، صيف 2001، ص8.

"الرّجل ليس من المرأة، بل المرأة من الرّجل، الرّجل لم يُخلق من أجل المرأة بل المرأة من أجل الرجل"[1].

وفي الرسالة نفسها يذكر: لتصمت نساؤكم في الكنائس؛ لأنه ليس مأذوناً لهن أنْ يتكلمنَ، بل يخضعن كما يقول الناموس أيضاً.

"أيتها النساء اخضعن لرجالكنّ كما للرب؛ لأنّ الرجل هو رأس المرأة كما هو المسيح أيضاً رأس الكنيسة"[2].

هكذا حُدِّدت العلاقة بين الرجل والمرأة على أساس من السيطرة والتبعية، فالرجل رأس المرأة، لأنه الأقدر على التمييز والتدبير، أما المرأة فينحصر دورها في الإشباع الجنسي، وترتيب شؤون المؤسسة لاستمرارية النوع، فكذا نداء الطبيعة يقرِّر، عليها أن تخضع وتصمت، لأنّ الكلام شرط ذكوري، ليس للمرأة أن تخترقه، فهذا الدور -حسب تلك الأسطورة- مرغوب من السماء، متّسق والطبع كما قرر (أرسطو):

"الطبع هو الذي عَيّن المركز الخاص للمرأة والعبد .

لعل هذه المقولة أخطر من سابقتها، إذ تقول الأديان – ما خلا الإسلام-: إنّ الرب هو الذي حدّد المركز للمرأة، فالرب مقولة اعتقادية، أما الطبع فمقولة جوهرية، فجَعْل المركز المتدني للمرأة من عمل الطبع يؤثّر في التفكير الفلسفي أكثر من المقولة اللاهوتية "[3].

على الرغم مما أشاعته الأسطورة التوراتية من ظلال على التراث المسيحي، إلا أنّ القرآن ساق القصة بصياغة مباينة لما جاء في التوراة، فالقرآن لم يُلْقِ باللائمة على المرأة، بل كان محايداً في خطابه: {وقلنا يا آدم اسكن

---

[1] الكتاب المقدس 11/8-9.

[2] المصدر نفسه 5/22-33.

[3] ينظر: هادي العلوي: فصول في المرأة، ص 82.

أنت وزوجك الجنة وكلا منها رغداً حيث شئتما ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين ❁ فأزلهما الشيطان عنها فأخرجهما مما كانا فيه وقلنا اهبطوا بعضكم لبعض عدو ولكم في الأرض مستقر ومتاع إلى حين)[1].

وفي سورة طه (فقلنا يا آدم إنّ هذا عدو لك ولزوجك فلا يخرجنكما من الجنة فتشقى ❁ إنّ لك ألا تجوع فيها ولا تعرى ❁ وأنك لا تظمؤا فيها ولا تضحى ❁ فوسوس إليه الشيطان قال يا آدم هل أدلك على شجرة الخلد وملك لا يبلى ❁ فأكلا منها فبدت لهما سوءاتهما وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة وعصى آدم ربه فغوى ❁ ثم اجتباه ربه فتاب عليه وهدى .)[2].

قصة خروج آدم في القرآن لم تُحمّل المرأة مسؤولية الخروج من الجنة بل كـان الخطاب بصيغة المثنى: فأزلّهما، فأخرجهما، خلافاً لم جاءت به التوراة.

القصة في القرآن لم تُسمِّ امرأة آدم، وهذا الأمر دفع الباحثين للتساؤل "إنه أمر يدعو إلى العَجَب، خاصة وهي أم البشرية، وأول امرأة في هذه الحياة، ثم هي التي ساعدت آدم على الخروج من الجنة، حين أغوته بالأكل من ثمر الجنة -كما تقول التوراة- لعل القرآن عدَلَ عن ذكر اسم حوّاء لتأثير "سلطان البيئة"، إذ إنّ التقاليد العربية لم تكن تستسيغ ذكر اسم المرأة من ناحية، ولأنّ القرآن يصوّر حوّاء تابعة لآدم في كل شيء"[3].

توزّعت القصة في القرآن على آيات متعددة، فلا نقرؤها باعتبارها نصاً متصلاً، بل إضاءات مُجزّأة تخلو من تفصيلات خلق آدم وحوّاء، وخروجهما من الجنة. إلاّ أنّ المفسرين المسلمين نقلوا هذه التفصيلات عن التوراة، فشاع في تفاسيرهم إيحاءات أسطورية رسّخت في المخيّال الشعبي حقائق

---

[1] سورة البقرة : 34-35.

[2] سورة طه: 117-122.

[3] محمد أحمد خلف الله: الفن القصصي في القرآن الكريم، ص317.

مطلقة عن الرجل والمرأة: فهي مشتقة من ضلع أعوج، وهي قرين الشيطان، ومكمن الخطيئة والرذيلة، سلاحها الإغراء، وطبعها المكر والدهاء... "[1].

لعل هذا الاسترسال في مقاربة قصة الخلق في العهد القديم ينطوي على فكرة مؤدّاها: أنّ هذا الخطاب المُنْتَج حول الرجل والمرأة قد ترك رواسبه في تمثُّلات الحيـــاة المختلفة، فرسّب في الذاكرة تفوُّق الرجل وحضوره، وتراجُع المرأة عن الفعل والشهود، مما جعل الخطاب يتحدث عـــن مطلق المرأة/ الأنثى، ويضعها في علاقة مقارنـــة مـــع مطلق الرجل/ الذكر. "وحين تُحدَّد علاقة ما بأنها بين طرفين متقابلين أو متعارضين، يتعيَّن ضرورة خضوع أحدهما للآخر، واستسلامه له ودخوله طائعاً منطقة نفوذه، فإنّ من شأن الطرف الذي يتصور نفسه مهيمناً أن يُنْتِج خطاباً عنصرياً بكل معاني الألفاظ ودلالاتها"[2].

واللغة في هذه المعادلة ليست منبتّة عن الثقافة، بل هي تعبير عنها، وجزء متخلِّق في تربتها، فهي وسيط متغير، وتغيرها يعتمد على تغيير السياق التاريخي والاجتماعي لاستعمالاتها. "فتغيُّر مدلول كلمة (Mistress) في الإنجليزية من حاكمة أو سيدة الأسرة في القرنين الرابع عشر والخامس عشر الميلاديين إلى عشيقة أو خليلة في القرن السادس عشر، فاستعملت كلمة (Housewife) لتدل على ربة المنزل. يشير إلى تدني وضع المرأة من خلال علاقتها بالرجل وانتزاع السيادة منها "[3].

---

[1] ينظر: الطبري: جامع البيان في أحكام القرآن 1/229-230، القرطبي: الجامع لأحكام القرآن، ج7، م4، ص238. ابن كثير: تفسير القرآن العظيم، 1/19-20.

[2] نصر حامد أبو زيد: دوائر الخوف، ص 29.

[3] Woman Words (A vocabulary of Culture and Patriarchal Society) by Jan Mills, PP. 164 –165.

أسهمت الذاكرة الجمعية في إقناع المرأة بضعفها، وعدم القدرة على الإبداع، فغدت أداة قابلة للتوظيف، والترميز، والتشكل وفق النظام السائد،

"إنّ الخضوع والسلبية والضعف والمازوشية (حب الإذلال) ليست صفات نفسية للمرأة، ولكنها تصبح صفاتها من أثر الاضطهاد الاجتماعي الطويل"[1].

إنّ هذا التنميط الذي انسحب على المرأة قديماً وحديثاً ترك إيحاءاته في الثقافة والمجتمع، مما جعل المرأة تظهر كائناً هامشياً، تابعاً، فانكفأت على ذاتها، وانغمست في العمل المنزلي، لأنّ ليس ثمة فضاء ممكنٌ للمرأة غيرَ ما هو مراقب ومكبوت.

لذا لا تُعرّف النساء في معظم المجتمعات إلا بصيغة علائقية مع الآخر، فهي زوجة فلان، أو أم فلان، أو ابنة شخص ما، حتى الراهبة- في التراث المسيحي – تُسمَّى زوجة المسيح.

هذا الناموس الكوني الذي تكرّس بسطوة الثقافة* أفضى إلى إنتاج لغة تماهت مع مسطورات المجتمع، فانحازت في أكثرها إلى الرجل، وصوّرته معياراً للإنسان عموماً، وصيّرت الأنثى فرْعاً وانحرافاً.

لم تقتصر تمثُّلات اللغة على ضرب معين، بل إنّ فضاءاتها امتدت إلى القانون اللغوي الناظم للعلاقة بين الجنسين، فأمسى الضمير المذكّر سائداً، وهو عمدة التركيب، لأنه محور الخطاب ومنتجه.

---

[1] نوال السعداوي: الأنثى هي الأصل، ص 35.

* سنتبنى تعريف وارد جوديناف Ward Goodenagh للثقافة التي عدّها: المعرفة المكتسبة اجتماعياً. ينظر: هدسون: علم اللغة الاجتماعي، ص118 –ص135.

فاللغة بفعل هذه الثقافة غدت متحيّزة – كما ترى ديل سبندر (Dale Spender) "إنها ليست عربة تحمل أفكارنا، بل هي تشكل الأفكار إنها برنامج النشاطات العقلية.

وفي السياق هي لا شيء أكثر من تخيلات البشر المثيرة للسخرية كالقدرة على التمسك بالأشياء كما هي موجودة.

وعندما يكون هناك لغة متحيّزة لجنس ما، ونظريات تقليدية متحيزة أيضاً، فإنّ ملاحظة الواقع ستكون أيضاً قابلة لأنّ تكون متحيّزة لجنس دون آخر"[1].

تخاطب اللغة القُرّاء كما لو كانوا رجالاً دائماً، لأنّ العُرْف العام تَشَكّل بوساطتهم، ولعل استدعاء إعلانات التلفزة يُومض إلى ما نرمي إليـــه، فالإعلانات توظِّف المرأة أداة إغرائية لعرض المنتوجات، وبهذا تستبعد المشاهد الأنثى على نحو صارم، أو أنها تَزُجُّ بالمرأة لأن تَنْظُر نَظْرَةَ الرجل في اللاوعي، لأنها مسكونة بنزعة تلقينية مفروضة من الخارج.

عرضت الناقدات في الحركات النسوية لأشكال التحيُّز، ولا سيما في اللغة الإنجليزية الأمريكية، فهذه اللغة تُمْعِن في الانتقاص من قدر النساء من خلال الألفاظ والمترادفات الكثيرة:

"ففي الإنجليزية قرابة 220 مصطلحاً يتعلق بالجنس غير الشرعي للنساء مقابل 22 مصطلحاً يخص الرجال.

وزعم أحد الباحثين أنّ الإهانات الجنسية زادت منذ الحرب العالمية الثانية وابتكر الإعلام المتحكم ألفاظاً تبتذل الحركات النسوية"[2].

---

[1] Extracts from Man Made Language, by Dale Spender p. 94.

[2] The Female World , by Jessie Bernard, PP. 376-377.

ولا تقتصر الإنجليزية الأمريكية على تشويه صورة النساء الجنسية، بل تؤكد تفوّق الرجال، وتعكس الموقع الثانوي للمرأة في عالم الذكور.

"ففي دراسة للبرامج المُعدّة لتطوير اللغة الإنجليزية كان الجنس المسيطِّر هو الجنس الذكوري، لذا ليس غريباً أن نلمح هذه الرموز المهيمنة في اللغة، نحو: للرجال Yell (بمعنى يصيح)، وللنساء Screans ، Angry للرجال (بمعنى غاضب) وللنساء Fret، وللرجال Growlt (بمعنى يتذمر) وللنساء Squeal .

وحلل (فرانسوا) معاني الكلمات المختلفة التي تعود للذكورة والأنوثة، فوجد أنّ الكلمات العائدة للأنوثة مثل: Sweet أو Pretty بمعنى جميلة، هي كلمات ضعيفة، وكلمة Good تصطبغ بالازدرائية إذا أُطلقت على النساء"[1].

إنّ تخصيص الرمز اللغوي من قِبل الرجال يرمي إلى تحقيق ثلاثة أهداف:

- إثبات أنّ الرجال هم الآباء/السادة.
- تكريس الهيمنة على النساء.
- تدعيم رؤيتهم المتمثلة في القدرة على تجنيس (تذكير) الحقل الثقافي مثلما قاموا بتجنيس الحقل الطبيعي للرحم.

وترى لِزي لرغراي (Laci Lrigray) " أنّ الذكور قاموا - بوعي أو دون وعي- بتمثيل أي شيء له قيمة بما يوافق صورتهم أو جنسهم النحوي لضمان سلطتهم وهيمنتهم على الخطاب. فأغلب النحويين قالوا بعشوائية الجنس النحوي، وأنه مستقل عن الدلالات، والإشارات الجنسية، ولكنّ ذلك ليس

[1] The Female World , by Jessie Bernard, PP 377-378.

صحيحاً، لأنَّ ذاتهم قد انسربت في يخضور اللغة، فجهدوا إلى تثبيت المذكّر، وإقصاء المؤنّث"[1].

ولكن كيف تمّت نسبة الجنس إلى الكلمات؟

ترى (الرغراي) "أنَّ ذلك تم بطرائق مختلفة ومستويات متنوعة، فقديماً اعتقدوا أنَّ هناك تطابقاً بين ما يسمى بالواقع وجنس الموضوع المتكلم، فالأرض la terre هي المرأة، والسماء le ciel أخوها، أما الشمس le soleil فهو الرجل الإله، والقمر la lune هي المرأة أخت الرجل الإله"[2].

وهكذا يُلحظ شيء من التماثل الأول يبقى دائماً في جنس الكلمات، ودرجة وضوحها أو اختبائها يختلف من كلمة إلى أخرى.

فالكائنات الحيّة القوية التي لها تاريخ (ثقافة) تصبح مذكّرة، والأشياء غير الحية وغير القوية، التي ليس لها ذاكرة تُسمى (مؤنّثة).

وهذا يُفْضي إلى أنَّ الرجال نسبوا الذات إلى أنفسهم، وقاموا باختزال النساء إلى منزلة الأشياء أو اللاتحقق ...

لقد افترض نصيرو الحركة النسوية أنَّ اللغة ليست عادلة، وشفافة لتمثل الحقيقة، لذا انبرى هؤلاء لتعديل اللغة من التحيّز إلى الحياد، وتنامى هذا النهج بفعل علماء الإناســة في القرن التاسع عشر، وزاد أُواره في القرن العشرين مع نهوض الحركات النسوية في العالم.

ويُعدُّ يسبرسن (Jespersen) (1922) من الرواد الذين بحثوا التحيّز الجنسي في اللغة، فقد نعت اللغة الإنجليزية الأمريكية بأنها لغة ذكورية ووسم جربر (Gruber) اللغة الإنجليزية الأمريكية بأنها لغة كره النساء. "ومثّل على قوله بألفاظ تُظهر هذه الكراهية، فكلمة bitch تطلق على النساء وهي في

[1] Language Sexes and Gender, by Luci Lrigray, p. 120

[2] Ibid, P. 121.

الأصل تتعلق بالحيوان، وكلمة witch (ساحر، ساحرة) التي تشير إلى الرجال والنساء تستحيل إلى ازدراء إذا أُطلقت على النساء.

وهناك ألفا نكتة بذيئة في أمريكا وخارجها صاغها الرجال لامتهان النساء .. "[1].

وعبّر مارك توين (Mark Twain) عن سخطه فيما يتعلق بالجنس (من حيث التذكير والتأنيث) في مقاله (اللغة الألمانية المزعجة) "إنه في الألمانية ليس للمرأة الشابة جنس فارق، فيما يحظى نبات (اللِّفت) بجنس محدد، فأي وقار ومهابة يتمتع بهما نبات اللفت؟ وأي مهانة لحقت بالبنت أو الفتاة؟ والزوجة في الألمانية ليس لها جنس، فهي محايد"[2].

لقرون خلت تم تجذير التذكير في الثقافة، مما مكّن الرجل من صَوْغ الواقع وتنسيقه طبقاً لمآربه، فهو يملك القدرة على تشريع نظام من المعتقدات يكون فوق مستوى الخطأ.

فالذكور –حسب توصيف ديل سبندر– "هم المجموعة المسيطرة التي أنتجت اللغة والفكر والواقع، وذلك ببناء الأقسام، واختيار المعاني، بعد ذلك قاموا بالمصادقة عليه، وتمريره إلى بقية الذكور، ولم يكن للمرأة في هذا الأمر سوى الانصياع لهذا القانون"[3].

هكذا طفق الرجل يحتكر الدوال، ويشفّر المعنى، فشاع الضمير المذكّر وتوارى ضمير الأنثى، لأن الأنثى تنضوي تحت الضمير المذكّر، ففي الإنجليزية الأمريكية استخدامات (he, his, him) أو كلمات (man, man kind) للإشارة إلى النساء والرجال.

---

[1] The Female World, by Jessie Bernard, p. 379

[2] Words and Women. by Gasey Miller. P. 40.

[3] Man made Language, P. 13, P. 143.

وتستخدم هذه اللغة في وظائف لاحقة (man-) نحو : Freshman، Postman، Salesman، Chairman، مما يرشح في الأذهان أنّ هذه الاستخدامات غير محددة للجنس، بل تطلق على العام.

"وتنعت مارجريت دويل (Margeret Doyle) اللغة الجنسوية بأنها غامضة وغير دقيقة؛ لأنها تستثني أكثر من نصف البشر"[1].

هذا التحيّز اللغوي يتعيَّن في العبارات المستخدمة، وفي طريقة اللفظ، وشدة التعبير، وبناء الجملة، وكذلك في مواضع الحديث، فهناك دوال تحمل دلالات متباينة إذا ألحقت بأحد الجنسين، " ففي الإنجليزية: تعني عبارة He is professional (هذا الرجل ينتمي إلى إحدى المهن المحتَرمة كالطب والمحاماة، والتعليم...، أما عبارة She is professional فتشير إلى أنّ المرأة مومس محترفة، وكلمة mister تعني "سيِّد" أما مؤنّثها mistress فتعني "عشيقة" "[2].

ومن الأمثلة التي تُلْمِع إلى التحيّز الجنسي في الإنجليزية، أنّ الأسماء التي ربطت اللغة بالأحداث والنشاطات، وخاصة ما يتعلق بالميول الجنسي قد صيغت تبعاً لوجهة الذكور، نحو: Penetration "الاختراق" و Fuck، Screw، أو Lay استلقاء.

فاصطبغت الألفاظ بالأشخاص الذين يميلون إلى الجنس الآخر، مما يوحي إلـــى أنها أفعال ذكورية تمارس المرأة فيها دور المنفعل.

وكان يتعيَّن أن تجد ألفاظ أنثوية طريقها إلى المعجم الإنجليزي نحو: Enclosure و Sarrounding "محصور، مُحاط"، Engulfing "مغطى، مغمور".

---

[1] Introduction to the A – Z of Non – Sexist language by M. Doyle, P. 149.

[2] نايف خرما: أضواء على الدراسات اللغوية المعاصرة، ص 24.

إنَّ اختفاء هذه الدوال تومئ إلى سلطة الرجل في صياغة اللغة واحتكار المعنى"[1].

على الرغم من أنَّ الجنس الأنثوي يمثّل 51% من السكان، إلا أنه لا يحظى بهذه النسبة في التحققات الحياتية * ففي الكتب المصورة تقابل كل صورة لأنثى 11 صورة لذكور.

وفيما يتعلق بعنوانات الكتب* فتبلغ نسبة الذكر إلى الأنثى 3/8، وهي نسبة قارّة منـــذ عام 1938"[2].

وقد أُجريتْ دراسة للألقاب في خطاب الرواية الفلسطينية المعاصرة، وانتهت الدراسة إلى "أنَّ معظم ألقاب النساء تكمن في الميدان الاجتماعي والعائلي، وتكاد تنعدم الإشارة إلى النساء في المجالات الثقافية والإبداعي والوطنية والسياسية.

إنَّ الألقاب بما تعنيه من اعتراف المجتمع وتقييمه للدور الذي يقوم به الفرد داخله ممنوحة للرجال فقط، وإنَّ الاعتراف بدور المرأة الفلسطينية وهويتها في مجتمعها غائب ويتمحور في حدود ضيقة تعكس الشرط الاجتماعي لمنتج النص ومتلقيه"[3].

يُمنح اللقب للإنسان رجلاً كان أو امرأة باعتباره قد يُشكّل حالة ثقافية معينة داخل المجتمع، ويكون منح اللقب لهذا الكيان الثقافي تحديداً لدور الإنسان ذاته، وإبرازاً له في مناشط الحياة.

---

[1] See: Gender Based Language , by, Susan E. Hrlichanel, P. 165.

* بدأت هذه النسبة تتضاءل لصالح الجياد والمساواة بين الجنسين، بفعل الحركات النسوية التي تلحّ على حضور الأنثى في اللغة، ولكن ما زالت هذه الطموحات في بدايتها.

[2] أورزولا شوي: أصل الفروق بين الجنسين، ص98.

[3] ينظر: إلهام أبو غزالة: الإبداع، اللغة والمرأة، ص12 – ص16.

فاللقب انعكاس للشرط الاجتماعي والأطر المعرفية لمنتج النص ومستقبله وليس مرده للغة، إذ إنّ اللغة تحتقب في تضاعيفها طرائق متراحبة لتحقيق المساواة، والاعتراف بالمُنجَز النسوي.

ولكن ما فتئ المجتمع الذكوري يعزّز مفهوم الفرادة المستحقَّة للرجال، فإن شبّت المرأة عن هذا الطوق المُحكَم عليها قيل إنها باينت طبيعتها، وغادرت مواقعها الخلفية إلى عرين الرجل/ اللغة.

"وهذه بعض شظايا الانفجار الذي أحدثته رواية (جين اير) "لإملي برونتي"، في صف النقد الروائي في منتصف القرن التاسع عشر:

- إنه فخر أن تكون كاتبة هذه الرواية امرأة.
- إنها تكشف الكثير عن الطبيعة البشرية بشكل حاذق ودقيق؛ وهذا ما يستحق الإعجاب، لكنه شيء مروع أن تكون الكاتبة واحدة من بنات الجنس اللطيف.
- فيها خروج وتجاوز عن كل ما هو أنثوي، وهذا خيانة للمرأة.
- رواية "جين اير" لا أنثوية، صحيح أنّ فيها قوة الرجل وصلابته وحريته في الكلام؛ بَيْدَ أنّ هذا نوع من الاسترجال غير المحبب... "[1].

انتقد مناصرو الحركات النسوية هذا الفكر المنحاز في اللغة الإنجليزية الأمريكية الذي أسلم المرأة إلى مركزية اللوغوس/ العقل، واختزل دورها في وظائف محددة؛ لذا سعت الحركات النسوية إلى تطهير اللغة من مظاهر التحيز والتطلع إلى لغة محايدة تتسق ودور الجنسين في صوغ الحياة.

[1] نازك الأعرجي: صوت الأنثى: ص 28.

تركّزت دراسات الجنوسة على اللغات الأوروبية والأمريكية، ولم تحظَ العربية بالمعاينة إلا لماماً، وربما يعود ذلك إلى حداثة هذه الدراسات وعدم سيرورتها في المشرق العربي على نحو ما تحقق في الغرب.

لذا لابدّ أن نعرض للعربية في سياق الحديث عن التحيز والحياد: وسأنزع في هذه المحطات منْزع الانتخاب والاختيار الممثِّلَيْن – في ظني؛ لتعذر الاستقراء التام.

ينبغي ونحن نعرض للغة والتحيُّز أن نحترس من الخلط بين اللغة بوصفها ظاهرة، والنظرية التي تحاول استخلاص قوانين الظاهرة، فإذا كان ثمّة تحيّز فمبعثه الثقافة وقيم المجتمع لا اللغة، فاللغة محايدة في مستوياتها المتعينة، ولكنها تصطبغ بالأطر المعرفية والاجتماعية للأفراد.

يتعين لدراسة التحيُّز الإلماع إلى أثر الثقافة في أقاليم اللغة، فاللغة في جوهرها متأصلة في حقيقة الثقافة ونظم الحياة والعادات عند كل جماعة، وهي توفِّر مدخلاً للثقافة، وتعين في الكشف عن المفاهيم المحورية فيها، ولا يمكن إيضاح اللغة إلا بالعوْد الدائم إلى محيطها الأوسع الذي تخلّق فيها الكلام.

فالعربية تعكس تمثّلات الثقافة التي تشرّبت نسغها، وأسهمت في تبلُّرها، لأنّ اللغة في حقيقتها نتاج اجتماعي لملكة اللسان ومجموعة من التقاليد الضرورية التي يتبناها مجتمع لِتُترجَم من خلال تحقّقات فردية.

فالفرد يكتسب اللغة وهو اكتساب بالضرورة لطرائق التفكير الثاوية في نأماتها، لأنها الذاكرة الجمعية التي تودع الشعوب فيها خبراتها، وتنقلها إلى الأجيال اللاحقة.

فالثقافة العربية لم تكن بدْعاً من الثقافات، فهي تنفعل بما خامرها من حضارات سابقة، وفكر إنساني متقادم، وتتفاعل مع محيطها لنسج منظوماتها من هذا الخليط المتراحب الذي يتناصى بشهقة التكوين الأولى. وهذا أصل

أصيل في كل أمة، وفي كل لسان، وفي كل ثقافة حازها البشر على اختلاف ألسنتهم وألوانهم ومللهم.

سُقْتُ الحديث فيما سلف إلى التحويرات التي اكتنفتها قصة الخلق الأول، وما أعقبته من آثار على الجنسين؛ إذ حظي الذكر بالأصالة والغَلَبة، ومُنِيَت الأنثى بالفرعية والاختزال.

ولعل كثيراً من المقولات المتقادمة القارّة في الثقافة والمجتمع قد أرخت سدولها على اللغة، وتجلت هذه الظلال في الأصول التي أسست اللغة عليها بنيانها، وفي المؤونة التي وفّرتها الثقافة للغويين والنحويين لتصنيف اللغة، وتقعيدها.

لقد حفظت الثقافة العربية مجموعة من الصور النمطية للجنسين، فانسرب ذلك في خَلَد أفرادها، وتمثّل في معاينتهم للرجل والمرأة، فالرجل ظلّ في المقدمة يرفُل بالقوة والسؤدد، فيما اقترنت المرأة بالضعف والغدر والجبن.

هجا زهير بن أبي سلمى آل حصن بقوله:

وما أدري وسوف إخالُ أدري	أقومٌ آلُ حصنٍ أم نســـاءٌ
فإنْ تكـــنِ النســـــاءُ مخبآتٍ	فحُقَّ لكلِ مُحصنةٍ هَدَاء[1]

علّق الأعلم الشنتمري على هذين البيتين بقوله: "إن كانوا رجالاً فسيوفون بعهدهم، ويبقون على أعراضهم، وإن كانوا نساء، فمن شأن النساء الغدر وقلة الوفاء، وإنما يصلحن للتخبئة والنكاح".[2]

ويرى طفيل الغنَوي أنّ النساء لا يلتزمن بما يملى عليهن:

إنّ النساءَ متى يُنْهَيْنَ عن خُلُقٍ	فإنّه واقعٌ لابدّ مفعـــــولُ[3]

---

[1] شرح ديوان زهير بن أبي سلمى، ص 73-74.

[2] المصدر نفسه، ص 74.

[3] ابن عبد ربه: العقد الفريد، 127/6.

والمرأة قرين الغدر كما وصفها أبو تمام:

فلا تحسباً هنداً لها الغدرُ وحدها ... سجيّةُ نفسٍ كلُّ غانيةٍ هندُ [1]

مجّد هذا المجتمع الرجولة، فهي ذؤابة المدح والبهاء، وخلاف ذلك الأنوثة، فهي مادة الهجاء و لسخرية. هجا جريرُ الفَرَزْدَقَ قائلاً:

خُذوا كُحْلاً ومَجْمَرة وعِطْراً ... فلستم يا فرزدقُ بالرجال

وهجا أحد الشعراء عَبْساً:

فسادةُ عبسٍ في الحديث نساؤها ... وقادةُ عبسٍ في القديم عبيدُها [2]

والمرأة تَرِدُ في بعض تحقّقات الثقافة رديف الغَيّ والضلال، قال أبو العلاء المعري:

إذا بلغَ الوليدُ لديك عشراً ... فلا يدخلْ على الحرمِ الوليدُ

ألا إنّ النساءَ حبالُ غيٍّ ... بهنّ يُضيَّعُ الشرفُ التليدُ [3].

لعل تلازم المرأة بموضوع الهجاء دعا أبا تمام أن يخصص باباً لمذمة النساء في كتاب الحماسة، فإذا علمنا أنّ أبا تمام كان أول من صنّف الشعر تصنيفاً موضوعياً، فتلك أمارات عن الثقافة التي رسّبت هذه الأنظار.

إنّ استجلاء صورة المرأة في الشعر القديم يُشعِرُ بأنها عُرِضَت مثـالاً منزوعَ الحركة، أو أداة رمزية قابلة للتوظيف، فحضورها ليس حضوراً كيانياً مُنْتِجاً، بل في كثير من التمثلات كانت عاجزة عن الحركة، تتسم بالعطالة والسلبية، لأنّ الشاعر يُشكِّل ذاتها وفْق ثقافته ورؤاه. "فالترميز بحد ذاته عملية تُقلِّص المرموز إلى مَحْض بعده بوصفه موضوعاً، بينما يحتكر الرامز أو مؤول الرمز كل الذاتية لحسابه، ومع أنّ الترميز يفترض أصلاً

[1] ديوان أبي تمام: 8/2.

[2] المرزوقي: شرح ديوان الحماسة، 226/1.

[3] البطليوسي: شرح المختار من لزوميات أبي العلاء ت: حامد عبد المجيد، 140/1.

بالموضوع المرموز أن يكون قابلاً للتشكيل، أي مادة مِطْواع يحدد الآخر مصائرها".[1]

لقد جرى تصميت المرأة لا لمجرد المنع من الكلام، ولكن منعها من الحضور في اللغة على نحو ما تَحقّق للرجل، ففي الجاهلية والإسلام تم إحصاء 504 شاعرة[2]، لكن لم تَمْنَح القيَم السائدة لهؤلاء الشاعرات البروز، إلا من خَرَقْنَ ستار الصمت، وفَرَضْنَ تجاربهن بمضاء وعزم، كالخنساء، وسكينة بنت الحسين، ورابعة العدوية. ومع هذا لم تَسْلَم تجربة المرأة من الإزراء عليها، ففي خبر عن بشار بن بُرْد أنه قال: "ما من شعر تقوله امرأة إلا بانَ فيه الضعف، فاعترضه أحد جلسائه. والخنساء؟ فقال: تلك كانت لها أربع خصيَ .. "[3].

وانتقد الفرزدق امرأة قالت شعراً. فقال: "إذا صاحت الدجاجة صياح الديك فلتُذْبَح"[4].

فالثقافة في بعض أنحائها عَدَّت اللغة شرطاً ذكورياً، فحكمت على المنجز الأنثوي بالإجهاض، فتوارت المرأة عن مزاحمة الرجل حقه. "ويبدو أنها كانت تخشى إن تميزت في الواقع تحت تسمية تخص جنسها أن تفقد حماية الرجل، التي هي دائماً مشروطة بالانصياع في الثقافة كما في البيت، وكما في المجتمع .. "[5].

ضرب هذا السلوك المنمّط للمرأة بكَلْكَله على تمثُّلات اللغة "فكل ما نتلقاه من أدب وتراث عن المرأة هو من نتاج هذه الصورة الخرساء لذلك

---

[1] جورج طرابيشي: رمزية المرأة في الرواية العربية، ص120.

[2] ينظر: عبد مهنا: معجم النساء الشاعرات في الجاهلية والإسلام.

[3] عن: هادي العلوي: فصول في المرأة، ص17.

[4] الميداني: مجمع الأمثال 105/1.

[5] نازك الأعرجي: صوت الأنثى: ص 8.

الجسد النائي، فهذه ليلى، وعزة، وبثينة من المعشوقات الهلاميات (الخُرْس) مثل اللات والعزى ومناة ممن لم نسمع لهن صوتاً، ولم نتصوَّر وجودهن الفاعل؛ لأنَّ الثقافة لم تُرِدْهن للكلام، وإنما أرادت سكوتهن وتحليقهن في سماء المخيال المجنَّح"[1].

فالطبيعة – طبقاً لهذا المخيال – أرادت للمرأة الركون في البيت، لتمارس هواجسها ووظائفها الأنثوية. عبَّر أحد الشعراء عن ذلك بقوله:

ولا تحمد حسانك إن توافت	بأيـــدِ للســـفورِ مُقوّمات
فَحملُ مغازلِ النسوانِ أولى	بهنَّ من اليــراع معلمـــات

سكبت الثقافة في خَلَد المرأة أنَّ الصمت مكرمة، يتعين عليها تقمصه والالتزام به، حتى تحظى بالقَبول؛ لأنَّ الكلام لا يتلاءم وطبيعتها التي صاغها المجتمع لها، إنها جسد مثير –كما وصفها ابن حزم: "إنهن متفرغات البال من كل شيء إلا من الجماع ودواعيه، والغزل وأسبابه، والتآلف ووجوهه، لا شغل لهن غيره، ولا خلقن لسواه. والرجال مقتسمون في كسب المال وصحبة السلطان، وطلب العلم ومكابدة الأسفار، والصيد وضروب الصناعات، ومباشرة الحروب، وملاقاة الفتن وتَحَمُّل المخاوف، وعمارة الأرض، وهذا كله متحيّف لفراغ، صارف عن طريق الباطل"[2].

كرَّست الثقافة أدوار الجنسين، فكان للرجال مركزية العقل والمكانة السنيَّة، وللمرأة العاطفة والهوى، فهي مستغنية عن العقل – تبعاً لوجهة المجتمع – متوقدةٌ غُلمةً.

"حُكِيَ عن امرأة يقال لها المُعَبِّرة، كانت أحكم أهل زمانها، وأعرفهم بالأمور، قيل لها:

---

[1] عبد الله الغذامي: ثقافة الوهم، ص 39.

[2] ابن حزم: طوق الحمامة، ص 84-85.

أيتها الحكيمة: أين تجدن العقل معشر النساء؟

قالت: بين الأفخاذ"[1].

وعن هذا المسطور الثقافي صدر خالد بن صفوان، حين قيل له: أتملُّ الحديث؟ قـال: إنما يُملُّ العتيق، والحديث معشوق الحسِّ بمعونة العقل، ولهذا يُولَع به الصبيان والنساء، فقال: وأي معونة لهؤلاء من العقل، ولا عقل لهم؟"[2].

لعل هذا التراتب بين الجنسين أفضى بالجاحظ إلى انتقاد بنية المجتمع التي ترى في الذكورة قيمة أثيلة، وتنأى عن الاحتفاء بالأنوثة. ذكر الجاحظ في (رسالة النساء):

"ولسنا نقول، ولا يقول أحد ممن يعقل أنّ النساء فوق الرجال، أو دونهم بطبقة أو طبقتين أو أكثر، ولكنّا رأينا ناساً يزرون عليهن أشدّ الزراية، ويحتقرونهن أشدّ الاحتقار، ويبخسونهن أكثر حقوقهن، وإنّ من العجز أن يكون الرجل لا يستطيع توفير حقوق الآباء والأعمام إلا بأن يُنكِر حقوق الأمهات والأخوال"[3].

[1] النعزاوي: الروض العاطر في نزهة الخاطر، ص137.

[2] أبو حيان التوحيدي: الإمتاع والمؤانسة 1/ 23.

[3] الجاحظ: رسائل الجاحظ، 3/151-152.

النحو والتحيُّز:

لم يكن النحو بمنأى عن الثقافة السائدة، فقد تبلّرت سيماؤه من الواقع اللغوي، وما كان للغويين والنحويين إلا أن يركنوا إلى سلطان البيئة والثقافة، فمعياريتهم محمولة على توصيف لهذا الاحتشاد اللغوي.

رتّبت العربية أحكاماً نحوية وصرفية وفيرة للتمييز بين المذكّر والمؤنّث، نحو: تذكير الفعل وتأنيثه، واستخدام الاسم الموصول المناسب، واستخدام اسم الإشارة الملائم، والخبر، والحال، والنعت، والعدد، والتصغير، والممنوع من الصرف، والتفضيل، وغيرها.

ولعل هذه الوفْرة في أبواب النحو والصرف تحققت؛ لاعتقادهم بأنّ التذكير والتأنيث طريقة من طُرُق التقسيم النحوي لإظهار التوافق في السياق حتى يكون التماسك فيه واضحاً.

ولكن الحرص على التوافق السياقي لم يكن خلْواً من تداعيات الثقافة ووطأة المجتمع. لذا نلْحَظ أنّ "الأصالة والفرعية" في الجنس اللغوي مشوبة بفكرة التكوين الأولى، التي قررت أنّ الذكر أصل ومنه اشتُقّت الأنثى. وبالضرورة أن يُغلَّب الأصل على الفرع لتتسق والفكرة الجوهرية للوجود.

أقام النحويون على هذا الأصل كثيراً من قواعد العربية، ذكر سيبويه:

"الأشياء كلها أصلها التذكير ثم تختص بعد، فكل مؤنّث شيء، والشيء يُذكّر، فالتذكير أول، وهو أشد تمكناً"[1].

ويقول سيبويه في موضع آخر: "الشيء يختص بالتأنيث، فيخرج من التذكير"[2].

وترددت هذه المقولة في مؤلفات النحويين فيما بعد.

---

[1] سيبويه: الكتاب، 241/3.

[2] المصدر نفسه: 242/3.

ذكر المُبرِّد: "أنَّ كل ما لا يُعْرَف أمذكَّر هو أم مؤنّث، فحقُّه أن يكون مذكّراً؛ لأنَّ التأنيث لغير الحيوانات إنما هو تأنيث بعلامة، فإذا لم تكن بعلامة، فالتذكير الأصل"[1].

وقال الزّجّاجي: "أصل الأسماء التذكير، والتأنيث داخل عليها"[2].

ويذكر في موقع آخر: "فأما الأفعال فمذكّرة كلها، وإنما تلحقها علامة التأنيث دلالة على تأنيث الفاعل"[3].

ويقرّر ابن جنّي "أنَّ إلحاق علامة التأنيث للفعل دليل على تأنيث الفاعل أو نائبه لا دليل على تأنيث الفعل، فالفعل يدل على نسبة الحدث إلى صاحبه: الفاعل، المفعول به، نائب الفاعل والحدث جنس، والجنس مذكّر"[4].

يقدّم ابن يعيش الدليل على أصالة المذكّر، في أمرين هما:

"مجيئهم باسم مذكّر يَعُمّ المذكّر والمؤنّث، والثاني أنَّ المؤنّث يفتقر إلى علامة، ولو كان أصلاً لم يفتقر إلى علامة"[5].

إنَّ افتقار المؤنّث إلى علامة تحيل إلى فكرة موغلة في القدم، إذ نُظِرَ إلى اللاحقة أنها سمة للضعف وأقل القيمة، يذكر المستشرق فليش "إنَّ هذه اللواحق الخاصة بالمؤنّث النحوي يجرنا إلى تصور حالة من حالات اللغة ضاربة في القدم، حيث كانت هذه اللواحق تصدق على طبقات، ويبدو أنها قد التقت في طبقة يمكن تمييزها: طبقة أقل القيمة أو الأدنى، وهـــي التي يمكن

---

1 المبرّد: المذكّر والمؤنث، ص 108.

2 الزجاجي: كتاب الجمل في النحو، ص 291.

3 المصدر نفسه، ص 290.

4 ابن جني: سر صناعة الإعراب، 223/1.

5 ابن يعيش: شرح المفصل، 88/5.

أن تفسر فصائل الكلمات المختلفة التي قد تضمها: كالتصغير، والتحقير واسم الجماعة، وكلمات المعاني المجردة"[1].

وأشار يسبرسن (Jespersen) إلى ذلك حين قال: "استخدمت اللغات القديمة نهايتين للدلالة على التأنيث، وهما " á " و " i "، وهي مرتبطة بمعاني الصغر والضآلة والنقصان والضعف في لغات كثيرة قديمة"[2].

التغليب للمذكّر:

تغليب المذكّر من سنن العرب، ذكر الثعالبي في حديثه عن (خطاب الرجال والنساء بالصيغة نفسها):

"قال تعالى عز وجل ﴿يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله﴾، وقال ﴿أقيموا الصلاة وآتوا الزكاة﴾، فعمّ بهذا بالخطاب الرجال والنساء، وغلّب الرجال، وتغليبهم الرجال من سنن العرب "[3].

وتبعاً لذلك كان "تأنيث المذكّر من قبيح الضرورة"[4]، "أما تذكير المؤنّث فواسع جداً؛ لأنه رد فرع إلى أصل، لكن تأنيث المذكّر أذهب في التناكر والإغراب"[5].

فإذا اجتمع مذكّر ومؤنّث حُمِلَ الكلام على التذكير؛ لأنه الأصل، فتقول: الرجل والمرأة حضرا، وجعفر وأسماء ابنا أبي بكر، ولو اجتمعت مئة امرأة ورجل، لتعيّن الإشارة إليهم بصيغة المذكّر، لا بصيغة جمع المؤنّث،

---

[1] هنري فليش: العربية الفصحى، ت: عبد الصبور شاهين، ص 70.

[2] أحمد مختار عمر: اللغة واختلاف الجنسين ص 64، نقلاً عن:
Language, Nature, Development and Origin, by Alto, Jespersen, P. 394

[3] الثعالبي: فقه اللغة وسر العربية، ص 236.

[4] ابن جني: سر صناعة الإعراب، 12/1.

[5] ابن جني: الخصائص، 417/2.

فرجل واحد بمقدوره أن يلغي مجتمعاً من النساء ولو كثُر؛ لأنّ الذكر في الجبلّة الأولى أصل للأنثى، يقول الأنباري: "المذكّر والمؤنّث إذا اجتمعا غُلّب المذكّر على المؤنّث، لأنه هو الأصل، والمؤنّث مزيد"[1].

ويذكر ابن يعيش: "إذا اجتمع مذكّر ومؤنّث حُملَ الكلام على التذكير لأنه الأصل"[2]. وقال السيوطي كذلك "يُغلّب المذكّر على المؤنّث إذا اجتمعا في التثنية والجمع"[3].

وتُراعى هذه القاعدة في الأعداد، فتقول: "هذا حادي أحد عشر إذا كنّ عشر نسوة معهن رجل؛ لأنّ المذكّر يغلب المؤنّث، ومثل ذلك قولك: خامس خمسة إذا كنّ أربع نسوة فيهنّ رجل كأنك قلت: تمام خمسة.

وتقول: هذا خامس أربع إذا أردت أنه صيّر أربع نسوة خمسة...، وتقول: ثلاثة أشخص وإن عنيت نساء؛ لأنّ الشخص اسم مذكّر"[4].

جمع المؤنّث جمع مذكّر:

أفردت العربية جموعاً خاصة بالمذكّر، وأخرى للمؤنّث. إلا أنّ بعض الألفاظ المؤنّثة جاءت على جموع خاصة بالمذكّر، نحو:

".. جمع قاعدة وثائرة، وقائمة، ونائمة، وصادّة: قُعّاد، وثُوّار، ونُوّام وصدّاد. وفُعّال جمع خاص بالمذكّر، والأصل فيهن أن يأتين على قواعد وثوائر، ونوائم، وصوادّ، إذ فواعل جمع خاص بالمؤنّث"[5].

---

[1] ابن الأنباري: المذكّر والمؤنث، ص 676.

[2] ابن يعيش: شرح المفصل، 35/6.

[3] السيوطي: المزهر، 185/2.

[4] سيبويه: الكتاب، 561/3-562.

[5] السيوطي: الأشباه والنظائر، 95/3-96.

جمع فَعيل: فُعلاء، وجمع فَعيلة: فعائل، غير أنهم قالوا: امرأة فقيرة من نسوة فُقَراء. "وإنما جمَع خليفة خُلَفَاء، وفُعَلاء إنما هي جمع فَعيل؛ لأنه ذهب بالخليفة إلى الرجل، فكأن واحدهم خَليف ثُمَّ جَمَع خلفاء، فأما لو جمعت "الخليفة" على أنها نظيرة "كريمة" و "حليلة" و"رغيبة" قيل: خلائف كما يقال كرائم وحلائل ورغائب، إذ كانت من صفات الإناث، وإنما جُمِعَت "الخليفة" على الوجهين اللذين جاء بهما القرآن، لأنها جُمِعَت مرة على لفظها، ومرة على معناها"[1].

المذكَّر خفيف وأشد تمكُّناً:

ذكر سيبويه: "اعلم أنَّ المذكّر أخف عليهم من المؤنّث؛ لأنَّ المذكّر أول، وهو أشد تمكناً، وإنما يخرج التأنيث من التنكير، ألا ترى أنَّ الشيء يقع على كل ما أُخبر عنه من قبل أن يُعلَم أذكر هو أو أنثى، والشيء ذكر، فالتنوين علامة للأمكن عندهم، والأخف عليهم، وتركه علامة لما يستثقلون"[2].

علّل الزجّاج منع العلم المؤنّث من الصرف بقوله: "وإنما لم تصرف جميع ما ذكر في هذا الباب، لأن التأنيث فرع من التنكير، والتنكير هو الأصل"[3].

وذهب السجستاني إلى أن صرف الأسماء ومنعها يتناصى بعلة الخفّة والثقل:

"اعلم أنَّ المذكّر أخف من المؤنّث، لأنَّ التنكير قبل التأنيث، فلذلك صُرِف أكثر المذكّر العربي، وترك صرف المؤنّث العربي"، ولذلك استمرَّ المذكّر بغير علامة للتنكير، بل ليست للتذكير علامة، لأنه الأول" [1].

---

[1] الطبري: جامع البيان عن تأويل القرآن ، 540/12 – 541، والأزهري: تهذيب اللغة، 408/7.

[2] سيبويه: الكتاب، 22/1.

[3] الزجاج: ما ينصرف وما لا ينصرف، ص 49.

وهذه القاعدة لا تتخلّف إلا إذا سمي مذكّر بصيغة المؤنّث، يقول سيبويه:

"إذا سمّيْتَ المذكّر بصيغة المؤنّث صرفته، وذلك أن تسمي رجلاً بحائض أو طامث"[2].

صيغة فعيل:

غلب على هذه الصيغة التذكير، ولم تخلُ علل النحويين من تأثير الثقافة التي قصرت هذه الوظائف على الرجال فقالوا: فلانة وصيّ فلان، وهي كفيلي، ووليي، وأميرنا امرأة.

علل الفرّاء مجيء هذا البناء بغير هاء بأنه "إنما يكون في الرجال دون النساء، فلما احتاجوا إليه في النساء أجْزَوْه على الأكثر من موضعيه"[3].

وهجس بمثل ذلك ابن الأنباري، فقال: "ألا ترى أن الإمارة والوصيّة والوكالة الغالب عليها أن تكون للرجال دون النساء .. "[4].

لعل مشاركة المرأة في هذه الوظائف بعد ذلك ألجأ العلماء لأن يُشتَقّوا لهن صيغة تتوافق وجنسهن. ذكر السجستاني: "وربما قالوا: كفيلة، ووصيّة، وجريّة، ونحوها بالهاء على القياس، وعلى شركة المنكّر"[1].

---

* يُستشعر من هذا التمييز أنّ المذكّر رُتّل بحضور قيمي، فالأسماء المذكّرة تُلقي تلقي الإلف والإيناس، فيما يقصرُ بالأسماء المؤنّثة، لعل هذا التمييز دفع أحد الباحثين لانتقاد هذا النظام: "هذا التمييز بين العربي وغير العربي على مستوى بنية اللغة وعلى مستوى دلالتها يتبع منه تمييز آخر بين المذكّر والمؤنّث في الأسماء العربية، وهو تمييز يجعل من الاسم العربي المؤنّث مساوياً للاسم الأعجمي من حيث القيمة التصنيفية، فبالإضافة إلى تاء التأنيث – التي تميز بين المذكّر والمؤنّث على مستوى البنية الصرفية – يُمنع التنوين عن اسم العلم المؤنّث، كما يُمنع عن اسم العلم الأعجمي سواء بسواء، في هذه التسوية بين المؤنّث العربي والمذكّر الأعجمي نلحظ أنّ اللغة تمارس تمييزاً، وهنا امتداد للخطاب السائد". ينظر: نصر حامد أبو زيد: دوائر الخوف، ص30.

1 السجستاني: المذكّر والمؤنّث، ص 37.

2 سيبويه: الكتاب، 239/3.

3 الفرّاء: المذكّر والمؤنّث، ص 61.

4 ابن الأنباري: المذكّر والمؤنّث، ص 647.

صيغة فاعل:

يَغْلِب على هذه الصيغة التذكير؛ لأنّ نصيب الأنثى فيها قليل، ذكر ابن الأنباري: "إنّ بالغاً وسافراً وعاشقاً نعوت مذكّرة وصف بهن الإناث، فلم يُؤنثن إذ كان أصلهن التذكيــر، والدليل على أنّ أصلهن التذكير أنّ الرجال يوصفون بهذه الأوصاف أكثر مما يوصف بهن الإناث"[2].

تغليب المؤنّث:

مالت العربية في عدد من المواضع إلى التأنيث، فلم يكن انحيازها إلى المذكّر على إطلاقه، فقد أحصى محمد عبد الخالق عُضَيْمة تأنيث الفعل وتذكيره في القرآن وخرج بجملة من النتائج:

- أنّ القرآن أنّث الفعل مع المجازي التأنيث المتصل بالفعل أو المنفصل عنه 269 مرة، وذكّر الفعل معه 57 مرة.
- أُنّث الفعل مع جمع التكسير المتصل بالفعل أو المنفصل عنه 264 مرة، فـــي حين ذكّر الفعل معه 65 مرة.
- بلغ مجموع مواضع تأنيث الفعل في القرآن 617 موضعاً، في حين أنّ مواضع تذكيره لم تتجاوز 193.
- الغالب في القرآن تأنيث الرُسل، فقد جاءت آيات التأنيث 26 آية، أما مواضع التذكير فلم تتعدّ سبع آيات"[3].

[1] السجستاني: المذكّر والمؤنث، ص 37

[2] ابن الأنباري: المذكّر والمؤنث، ص 142.

[3] محمد عبد الخالق عضيمة: دراسات لأسلوب القرآن الكريم، 7/ 488-489، ق3، ج1.

تغليب الليالي على الأيام:

ذكر أبو علي: "اعلم أنّ الأيام والليالي إذا اجتمعت غُلّب التأنيث على التذكير، وهذا خلاف المعروف من غلبة التذكير على التأنيث في عامة الأشياء"[1].

جمع المذكّر جمع مؤنّث:

تُجيز العربية أن يُجمَع المذكّر في بعض حالاته جمع مؤنّث، وتبعاً لذلك أجاز مجمع اللغة العربية بالقاهرة جمع أصناف من المذكّر جمع التأنيث الشائعة، نحو:

إطارات، بلاغات، جزاءات، حسابات، خلافات، خيالات، إعلانات،، شعارات، صراعات، ضمانات، عطاءات، قرارات، قطارات ... "[2].

تسمية المذكّر بالمؤنّث:

ذكر سيبويه أنّ المذكّر قد يوصف بالمؤنّث "فأما ما جاء من المؤنّث لا يقع إلا لمذكّر وصفاً، فكأنه في الأصل صفة لسلعة أو نفس. كما قال (لا يدخل الجنة إلا نفس مسلمة) "[3].

إلحاق المذكّر علامات التأنيث:

ألحقت العربية علامات المؤنّث بالمذكّر، منها الهاء نحو قولك: "رجل باقِعَة ورَبْعة، وصَرُورة للذي لم يحج، ونَزُوقة للجبان، وتِلْعابة، وضُحَكة، وهُمَزَة،

---

[1] ابن سيده: المخصص، 115/17.

[2] في أصول اللغة، 59/2.

[3] سيبويه: الكتاب 3/ 237.

أما الألف الممدودة، مثل: رجل عَيَاياء، وطَبَاقاء، وبُسر قَرِيثاء، ويوم ثُلاثاء وبَرَاكاء للشديد القتال، ورجل ذو بَرَلاء إذا كان جيد الرأي.

أما الألف المقصورة، نحو: رجل خُنَثَى، وزِبَعْرَى للسيء الخُلُق، وجمل قَبَعْثَرى إذا كان ضخماً شديداً، والبَهْمَى نبت له شوك، وخزامى نبت ... "[1].

يُلْحَظ من دراسة المذكّر والمؤنّث في اللغة، أنّ أكثر ما عُنِيَ به العلماء هو دراسة التأنيث، حتى ليخيّل أنّ المشكلة كانت تكمن في التأنيث، فأكثر ما صنفه العلماء كان موقوفاً على أحكام التأنيث، والمؤنّثات السماعية، ولعل أولية اللحن تومئ إلى ذلك، فقد رُوي "أنّ هذه عصاتي، أول لَحْنٍ سُمِع بالبادية"[2].

ويبدو أنّ تغليب المؤنّث على المذكّر ظل عُدولاً عن الأصل، فالأشياء أصلها التذكير وفْق هذه المنظومة اللغوية، ولكن ما ألجأ اللغويين إلى ذلك هو المعيار الصارم الذي رسَموه لضبط اللغة وتقعيدها، فحين غلّبوا التأنيث في بعض الحالات كانوا يحملون ذلك على المعنى، أو يؤولونه بالمذكّر لأنه أصل، فالفرع يقاس على الأصل عند اتحاد العلة وفي ذلك تأثّر بأصول الفقه والمنطق.

وثمة إشارة أخرى، هي أنّ مؤسسة النحو ظلت حكْراً على الرجال، فلا يتراءى لنا اسم امرأة. ففي إحصاء لتراجم (إنباه الرواة على أنباه النحاة) التي تجاوزت 976، لم تطالعنا سوى امرأة تُعرف بابنة الكُنيزيّ عُنِيَتْ بالنحو[3].

---

[1] ابن التُستري: المذكّر والمؤنث. ص 48- 49.

[2] أبو البركات الأنباري: البُلْغة في الفـــــرق بين المذكّر والمؤنث، ص67.

[3] ينظر القفطي: إنباه الرواة على أنباه النحاة، ت: محمد أبو الفضل إبراهيم.

فيبدو أنّ المجتمع وفّر للمرأة فرصة التعليم الديني، لحساسية منعهن من تعلم علوم الشرع، فأكثر ما برزت فيه النساء: علوم القرآن، وعلوم الحديث، وعلم الفقه...

الدلالة والتحيّز:

وثّقت الثقافة الصورة النمطية المألوفة عن الجنسين، فدثّرت الرجل بدور الفعل والقوة، وخلّعت على المرأة صفات الضعف والعطالة، فتسلّلت كثير من هذه الأدوار إلى حظيرة اللغة، فاتّشحت مفرداتها بلَبُوس الثقافة السائدة.

إنّ حضور الأنثى والذكر ارتماء في ثقافة مركوزة في تربة المجتمع، وامتداد وجودي للذات التي بلّرت هذه الدوال، فأمسى الذَّكَر عصيّ التعريف، متراحب الدلالة، فيما تعيّنت الأنثى بدورها المعهود، ففاضت اللغة بتسمياتها حسب مراحل العمر، وبمفردات الجمال والزينة، وبتتبع أدوارها البيولوجية، وبألفاظ النكاح، وبصفاتها المحمودة والمذمومة... وغيرها من توصيفات لم تخلُ من آثار ثقافية اجتماعية.

ولعل مقاربة لتحقُّق المرأة في ألفاظ اللغة يُفْصِح عما نهجس به.

"فالمرأة" ترتدّ إلى فعل "مَرَأ" أي طعم، وهنا تلازم الطعم بالطعام، وتُجمع على غير اشتقاقها، فيقال: نساء ونسوة، وتُعرّف بأنها مؤنّث الرجل، والنساء تعني: "المناكح"، وهنا ارتباط المرأة بالجنس والإنجاب.

وهي "حَرَم"، والحرم: المنع، ويقال حُرْمَة الرجل أي حرمه وأهله، والحريم يعني (النساء)، وفي ذلك إضفاء اللامساس على المفردة.

ويقال حليلة الرجل، وطَلّته/ خمرته، وهي قعيدته، وربَضُه، وهي ظعينة فلان، ويقال كانت تحت فلان؛ أي زوجه، وهي فراشه، وإزاره، ومحل إزاره، ومحل مئزره، وأم العيال ..."[1].

فهذه المفردات وغيرها تشير إلى دور المرأة في المجتمع، ونظرة الثقافة إليها، فهي تابعة للرجل في كل أدوارها، وحضورها موقوف على الإنجاب والمتعة، وهذا يفسر وفرة المفردات الحسية للمرأة، وألفاظ النكاح في معجمات اللغة وأسفارها.

" ذكر أبو زيد: امرأة مكمورة أي منكوحة، وهرج يهرج هرجاً، ونخب نخباً، فطأ فطئاً، ونشل نشلاً، وفجأ فجئاً، وشطأ شطئاً، ورطأ رطئاً، ولثأ لثئاً، وقَمْطَرَ قَمْطَرة، ورَطَم رطْماً، وكَوَم كوماً.

وقال أبو عمر: دحاها، وأرَّها، ونحمها.

وقال غير أبي عمر: باضعها، ولامسها، ومحزها.

ويقال: امرأة مُكَامة، أي منكوحة.

ويقال: الكشر والمحج والزَّغْب، والجلْح، والغَشّ، والنخب ..."[2]

وعرض الثعالبي في (كتاب فقه اللغة وسر العربية) إلى عدد من أسماء النكاح، وقال إنها تبلغ مئة كلمة عن ثقات الأئمة، وتخيّر الثعالبي بعضها، نحو:

"المحت، والمسْح: النكاح الشديد

الدَّعس والعَزْد: النكاح بشدة وعنف.

والهكُّ والهَقُّ والإجهاد: شدة النكاح، والرهز والدّحْز، والهرْج ..."[1]

---

[1] ينظر: ابن السكيت: كتاب الألفاظ، ص350–ص351، ابن الأنباري: الزاهر في معاني كلام الناس: 2/ 63–65. وابن منظور: لسان العرب "مرأ".

[2] ابن السكيت: كتاب الألفاظ، ص264، ص350–ص351.

وهناك ألفاظ عديدة تتعلق بالنكاح موزّعة في تضاعيف اللغة، وما يُلْحَظ من هذه الألفاظ أنها تتسم بالإيحاش نحو هذه العلاقة، وإسناد الدور الفاعل للرجل، وحصر المرأة بالإيعاب والتلقي.

وتُستَعلَن أدوار الجنسين في اللغة، لتُنبئ – إلى حد كبير– عن الثقافة والمجتمع التي تخلّقت في أحنائهما. قال الخليل: "الفَنَد: إنكار العقل من هَرَم، يقال شيخ مُفْنِد، ولا يقال: عجوز مُفْنِدة؛ لأنها لم تكن في شبيبتها ذات رأي فتُفَنِّد في كِبَرها"[2].

وذكر ابن مكي الصقلّي: "السخاء والشجاعة من مناقب الرجال.

والسِّمَن مذموم في الرجال، محمود في النساء.

والرَّسح هو قلة لحم الوركين، محمود في الرجال مذموم في النساء"[3].

ويذكر ابن يعيش أنه "لا يقولون للمرأة عوّارة؛ لأنّ الشجاعة والجبن من أوصاف الرجال لحضورهم الحرب، وكثرة لقائهم مع الأعداء"[4].

لقد وقفتُ على عدد من أسفار اللغة، نحو: (ما اختلفت ألفاظه واتفقت معانيه للأصمعي، وكتاب الألفاظ لابن السكيت، وفقه اللغة للثعالبي، والمخصص لابن سيده، والقاموس المحيط للفيروزابادي، والمترادف والمتوارد لإبراهيم اليازجي)*.

وكان وُكْدي أن أستجلي صورة الذكر والأنثى في ألفاظ اللغة، وهل أسهمت الثقافة في إضفاء مسطوراتها على أقاليم اللغة؟ فانتهيت إلى جملة من الإلمعات.

---

[1] الثعالبي: فقه اللغة وسر العربية، ص185-ص 186.

[2] الخليل بن أحمد: العين، 49/8.

[3] ابن مكي الصقلي: تثقيف اللسان، 347.

[4] ابن يعيش : شرح المفصل، 67/5.

* ينظر: الملحق في نهاية الكتاب. "آثرت أن أجعل أمثلة هذه المسألة لكثرتها ملاحق".

- مالت الثقافة إلى إضفاء صفات محايثة للجنسين تتسق والنمط المتجذّر فيها، فظفر الرجال بسهم وافر من الصفات الجامعة لمناشط الحياة، مما يُؤكّد الدور الفاعل لهم.
- امتزجت صفات المرأة في هذا الإحصاء بدورها الذي أملاه عليها المجتمع، فهي الزوجة والأم والمعشوقة. لذا اندغمت هذه الأدوار بالألفاظ الملحقة بها.
- نالت الصفات المعنوية للرجال سُهْمَة كبيرة، فهم السادة، وذوو العقول الراجحة وهم المتّسمون بالكرم والشجاعة، وغيرها من صفات العلاء التي تشفُّ عن سيطرة الرجل على روافد القوة والتأثير. فهم القادة السياسيون، والمنتجُون، والمستشارون، والقادة في الحروب، وأهل العَقْد والرَّبط، وبيدهم مقاليد الأمور، وهم المَرْجِع فيما حَزَب الأمة والمجتمع؛ لهذا اندغمت الصفات الملحقة بهم بالأدوار المتخلّلة مناحي الحياة، ولعل هذا الحضور للرجال ترك رواسمه في مفردات اللغة ودلالاتها[1].
- اصطبغت أكثر الصفات المحمودة في المرأة بِسُنْحَة جسدية بحت، مما يُفْصِح عن رؤى الثقافة للمرأة، فهذه الثقافة أرادت المرأة أُمّاً وزوجة ومعشوقة ولا بدّ لها من مؤونة الجسد لتحقيق هذه الأدوار، وكأنها رهينة الإنجاب والإمتاع.
- احتفى المجتمع بالمرأة المِطْواع، والذلول، والمذعان، والعاشق، والباهل، والستير، والعطوف، والملازمة لبيتها القائمة على حراسة الهيكل الأسري، وأعلى المخيال الثقافي والاجتماعي من القيم الجمالية

---

[1] ينظر: ص 176 – ص 178 من هذه الدراسة.

لجسد المرأة، فكاد هذا المخيال أن يختزل المرأة في جسد يتوقد إثارة وإنتاجاً، فلا غرو أن تتزاحم الصفات الجسدية للمرأة قبُولاً وذماً، وقد رصدتُ واحدة وسبعين صفة جسدية محمودة للمرأة، وتسعاً وخمسين صفة جسدية مذمومة، فيما توارت الصفات الفاعلة التي تُبرز الحضور النِّسْوي في المجتمع[1].

وثمة إلماعة أخرى طاغية في فضاء اللغة وتَعيُّناتها، وهي أنَّ الرجل غير معرّف بجنسه، فهو يمثل الإنسان / العام/ الشامل/ المعيار، أما المرأة فهي محدودة الدور والتعريف.

التحيُّز في المِخْيال الشعبي :

تقوم أهمية التَّمثُّلات الشعبية في أنها مرآة للحراك الاجتماعي والثقافي، فهي تكشف عن الطبائع المستكنّة في المجتمع، وتشفُّ عن طرائق التفكير، وفي ثناياها تقبع رواسب الحياة البدائية، والأسطورية، وموروثات الثقافة.

ولعل أظهر التحققات الشعبية تكمن في الأمثال، فهي قنطرة ناجعة للتجارب المتوارثة؛ لما تتَّسِمُ به من تكثيف لغوي واختزال معنوي، فضلاً على ذلك السيرورة والانتشار، فقيل "أسْيَر من مَثَل"، ووصِفَتْ بأنها مصابيح الكلم.

أعملت الثقافة مباضعها في الأمثال، وسكبت في أعطافها بعض المسطورات ولا سيما العلاقة الناظمة للجنسين، مما أفضى إلى ترسيخ معتقدات ثابتة، وقِيَم أخلاقية متوارثة، فظل الرجل في المِخْيال الشعبي رديفاً للفحولة والقوة، واختُزِلت المرأة في أطوار حياتها الجنسية، والصفات المحفورة في الذاكرة الجمعية.

---

[1] ينظر: ص 164 – ص 167 من هذه الدراسة.

إنَّ انعقاد الاتفاق على المعتقدات البدائية والأسطورية في الماضي والحاضر، ينبئ عن أهمية المخيال الشعبي في تجذير المفاهيم والأفكار، لهذا لا نلحظ تغيراً ذا دلالة في التوصيف المتقادم والحادث للجنسين، فحضور الرجل في المخيال الشعبي صارخ، متعدّد التحقُّقات، وهو ممتد في نسيج الحياة المختلفة، أما المرأة فقد اقترنت بمجموعة من القيم الراتبة حاكت لها ذاتها وطباعها، وعملت الأمثال على تعزيزها وإلحاقها بذات المرأة، فهي وفقاً لهذه الوجهة:

- **جسد ضعيف:** ذُكِر في مجمع الأمثال: "النساء لحم على وضم"[1] يُضرب في ضعف النساء وسرعة تأثرهن.
- **عقل ناقص:** قيل: لُبُّ المرأة إلى حمق" [2] يضرب عُذْراً للمرأة عند الغَيْرة وقيل: "ضل حلم امرأة فأين عيناها"[3]. يُضرب في استبعاد عقل الحليم. وقيل: حدّث حديثين امرأة فإنْ لم تفهم فأربعة"[4] يضرب في سوء السمع والإجابة، وقيل المرأة **شعر طويل وعقل قصير.**
- **ذات كيْد:** قيل: كل شيء مَهَهْ (يسير) ما خلا النساء وذكرهن"[5] وقيل **كل بليّة سببها وليّة. والمرأة حية من تحت تبن.**
- **ليست أهلاً للمشورة*:** قيل: "أنا نذير لكل فتى وثق بامرأة"[1] وقيل: ما أمر العذراء في نوى القوم[2]، يُضرب في ترك مشاورة النساء، وقيل: "طاعة النساء ندامة"[3] **واسمع للمره ولا توخذ برايها.**

---

[1] الميداني: مجمع الأمثال: 19/1.

[2] الميداني: مجمع الأمثال، 199/2.

[3] المصدر نفسه: 419/1.

[4] البكري: فصل المقال في شرح كتاب الأمثال، ص 50.

[5] الزمخشري: المستقصى في أمثال كتاب الأمثال، ص 50.

- **قرينة الشيطان:** وقيل "النساء حبائل الشيطان"[4].
- **مجلبة للعار والهمّ:** قيل: "عار النساء باقٍ"[5]، وقيل: **موت البنات سُتْرَة**، وقيل: **صوت حية ولا صوت بنية**، وقيل: **إلي بغا العذاب يرافق النسا والكلاب.**
- **ضلع أعوج:** قيل: "الضربة للسارية والمعنى للجارية"، **والمره بحال السجادة ما تتنظف غير بالخبيط.**
- **ليست أهلاً للود:** قيل: لا تُسكِنوا نساءكم الغرف، ولا تعلموهن الكتابة، واستعينوا عليهم بالعُرى، وعودوهن "لا" فإن "نعم" تجرئهن"[6]. وقيل: المرأة إذا أَحبتك أذتك وإذا بغضتك خانتك"، "ولا تثق بامرأة، ولا تغتر بمال"[7].

اتخذ المخيال الشعبي إلى جانب الأمثال وسائل شتى لتدعيم مأثوراته، منها النصائح التي اكتست لبوس الحكمة، نحو:

عليكم بالسراري؛ فإنهن مباركات الأرحام ..، ومن سرّه أن يلقى الله طاهراً مُطَهّراً فليتزوج الحرائر، ... لا تعلموهن الكتابة، وعلموهن المغزل وســـورة النور، ... وانتجبوا المناكح ... ، ومن صبر على سوء خلق امرأة

---

* قال ابن المقفّع: "إياك ومشاورة النساء، فإنّ رأيهن إلى أفن، وعزمهن إلى وهن، واكفف عليهن من أبصارهن بحجابك إياهن: فإنّ شدة الحجاب خير لك من الارتياب، ولا تملّكنّ امرأة من الأمر ما جاوز نفسها، فإنّ ذلك أنعم لحالها، وأرخى لبالها، وأدوم لجمالها، وإنما المرأة ريحانة وليست بقهرمانـــة (التي تدبّر شؤون البيت)". ابن قتيبة: عيون الأخبار. 78/4.

[1] الثعالبي: تمثال الأمثال، ص 315.

[2] الميداني: مجمع الأمثال، 261/3.

[3] المصدر نفسه، 292/2.

[4] المصدر نفسه: 384/3.

[5] المصدر نفسه، 410/2.

[6] المصدر نفسه، 51/4.

[7] ابن عبد ربه: العقد الفريد 126/6.

أعطاه الله أجر آسية امرأة فرعون، ... وأجيعوا النساء جوعاً غير مُضِرّ وأعروهن عرياً غير مُبْرِح، ... "[1] وغيرها من المأثورات التي تسربلت بحُلَّة النصائح لتحظى بالقبول والتسليم.

إن هذه المقولات وغيرها أسهمت في تظهير صورة المرأة في المخيال الشعبي، حتى غدت هذه الإيحاءات المُسْقَطة طبيعة لازبة في المرأة تلازمها من ومضة الميلاد، فهي مولود غير مُرَحَّب به، يُستقبل على هُون. وربما ألجأت نظم الاجتماع القديم، والصراع القائم بين القبائل العربية إلى هذا المنزع، إذ إنّ حياة تلك المجتمعات كانت تعتمد على الكلأ لسيرورة حياتهم، فكان يتعيّن الانتقال إلى حمى يوفّر سُبُل العيش لهم ولمواشيهم، فلجأوا إلى الغزو والصراع بين القبائل الأخرى، وكان وقود هذا الصراع الرجال، فاحتفت القبائل بالذكور لما ينتظرهم من مهمات أثيلة لرفعة القبيلة، وتعضيد شوكتها.

أما الإناث فكنّ -في مخيال السابقين- مجلبة للعار والهوان، لأنهنّ يُؤخذن أسيرات في الحروب، وهذا ما يعافه العربي، لذا ظلت الذكور تحظى بالسؤدد والعلاء وفقاً لتقسيم الأدوار التي أقامتها نُظم المجتمع وقيم الثقافة.

وإن كانت تغيرت بعض هذه الرؤى لتغيُّر المعطيات، إلا أنّ هذا التراتب الاجتماعي للجنسين ظل ثاوياً في تلافيف العقلية الاجتماعية؛ لأنّ دور الرجل تمثّل في الإنتاج والتفاعل، فيما ظلت المرأة تمارس هواجسها عَبْرَ أسوار الهيكل المنزلي. وقد عبّر المخيال الشعبي عن ذلك: "**البنت لو قدّ المخدة تنزل مثل المهدّة**"، "**ويا مخلفة البنات يا رايحة للممات**".

[1] يُنظر: الشوكاني: الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة، ص119-135.

أما الولد فيُستقبل بالحبور والبِشْر، ولو كان أحمق، "قالت إحدى نساء العرب:

لست أبالي أن أكون مُحْمِقَة*
إذا رأيـت خصْيَة مُعَلَّقَة"[1]

ويتم ترسيخ التمايز بين الجنسين منذ الصغر، فللأولاد ألعابهم الخاصة بهم كالسيارات، والأسلحة والأقلام، أما البنات فلهنّ أدوات المطبخ والعرائس وتشير الدراسات النفسية إلى "أنه يُسْمَح لصغار الأولاد باللعب بعرائس أخواتهم بين حين وآخر، ولكن يحتمل أن يكون الولد موضع سخرية إن تكرر ذلك مرات عدة، ولكن البنات قلما يُقدَّم لهن دمى السيارات والقطارات، ولا يُشجَّعن على القيام بالألعاب الخشنة، وقد يُوصفن بأنهن "مُسْتَرْجِلات" إذا لم يتبعنَ الأخذ بالأنشطة الهادئة الرقيقة، أما الأولاد الذين يضيقون بالألعاب الخشنة ويلجأون إلى القراءة أو العزف على (البيانو) فيُوَسَمُون بالمخنثين" ...[2]؛ وفي ذلك ترسيم للأدوار المنوطة بهم في المستقبل.

ويوظِّف هذا المخيال القصصَ والحكايات لتمرير إملاءاته، فتلحظ أنّ أدوار المغامرة والبطولة والشهامة مقترنة بالذكور، أما أدوار الضعف والتأثر والخوف فتأخذ طابعاً أنثوياً.

وتقترن الأنثى وَفْق هذا المخيال بالمنع والحُرمة، فلا ينبغي النطق باسمها، إنما يشار إليها بأسلوب النكرة، أو المجهول، نحو:

مَرَه، عيال، بنت، أهل، عقيلة، كريمة فلان، هي. هذه المسميات وغيرها تطلق على الزوجة – في الأغلب–، وكأنّ ذكر اسمها محذور

* المُحْمِقَة: منجبة الحمقى.

[1] القراء: المذكر والمؤنث، ص66.

[2] سوزانا ميلر: سيكولوجية اللعب، ت: حسن عيسى، ص230–231.

اجتماعي، لذا يتحرج الأطفال في سنيّ الدراسة من إعلان اسم أمهاتهم للأقران؛ لارتباطها في مخيالهم بالمُحَرّم والعيب. وتشيع عادة عند بعض النساء أن تُعرّف المرأة نفسها بمدام فلان (زوجها)، أو أن تُضيف اسمها إلى زوجها - تأسياً بالعُرف الغربي-، وفي ذلك اختزال غير واعٍ لذاتها وكينونتها.

ولا تقتصر آثار المخيال الشعبي على هذه التحققات، بل تمتد في نُسُغ المجتمع، لتشكيل الرؤى عن الكون والحياة طبقاً لتلك الوجهة.

لقد أسهمت عوامل عديدة في خَفَاء مسألة المذكّر والمؤنّث، منها الأسطوري، والاجتماعي، والثقافي، فألقت هذه الموروثات نُسُغها في تَمثُّلات اللغة، فالعلاقة بين الثقافة واللغة علاقة الفاعل بالمُنْفعِل؛ لذا تتأثّر اللغة برواسم الثقافة.

ويُسلمُنا هذا الملْمح إلى أنّ اللغة في (هُيُوليتها) محايدة، إذ تُمثّل ظاهرة مجرّدة من المحمولات التي قد تَلْحَق بها من جرّاء المؤثرات الخارجية، إذن ليس بالمُكْنة أن نَسِمَ العربية بالتحيّز. ثم نهْرَع إلى تعديل نظامها اللغوي، فتلك مغالطة منطقية كالذي يضع العَرَبة أمام الحصان؛ لأنّ تعيّنات التحيّز تثوي في تضاعيف الثقافة والمجتمع، لا في جِبِلّة اللغة، وبالتالي يتعيّن تعديل الثقافة وقيم المجتمع، لينعكس ذلك على التُحقّقات اللغوية، فحين شاركت المرأة الرَّجُلَ في مَضارب الحياة، وتجاوزتْ دور حراسة الهيكل المنزلي. أفضى ذلك إلى تعديل المسطورات المصوغة عن المرأة، فأمست زميلة الرجل في مشروع الحياة، وتجلّت آثار هذه الحالة في اللغة، وما عادت وطأة التمييز صارخة كسيرورتها في الماضي.

إنّ غياب المرأة عن بعض التعيينات الجادّة، أو ضآلة حضورها لا يُعزى إلى اللغة ذاتها، إنما مردّ ذلك للثقافة المُتَخلّلة نأمات المجتمع، ويقتضي ذلك أن نَحلّ مكانها قيماً تتسق وإنسانية الجنسين، حينها يتغيّر الخطاب المُنْجَز.

ولعلّ محاولة بسيطة لاستقراء التراكيب المورفولوجية في العربية، تقفنا إلى الطاقات الكامنة فيها، لتنفي عن ذاتها التحيّز لجنس دون آخر، فالأمر مرهون بمن يوظّف الخطاب لغايات مُعَيّنة.

الباب الثالث

الخصائص اللغوية للجنسين

- الخصائص الصوتية والنطقية.
- الخصائص النحوية والصرفية.
- الخصائص الدلالية.
- الخصائص الأسلوبية.
- السلوك اللغوي غير اللفظي.

لفتت الخصائص اللغوية للجنسين أنظارَ الدارسين، فراحوا يتتبّعون الظاهرة في لغة الحديث ووسائل الاتصال غير اللفظية. ووقفوا إلى جملة من السمات التي تميز لغة الرجـــل من لغة المرأة.

ولكن هذه الجهود اكتست في البَدْء لَبُوس الانطباع والإشارة، ولم تستقل برأسها، فنُثِرَتْ في دَرْج الحديث.

وقد أومض علماء العربية قديماً إلى التمايز اللغوي بين الجنسين، ونلحظ ذلك في قول ابن جني حين عرض أسلوب الندبة: "إنّ أكثر من يتكلم بهذا الأسلوب النساء" [1].

وعلّق الباقلاّني على قول امرئ القيس " لكَ الويلاتُ إنّكَ مُرْجِلِي" بقوله: "وهذا من كلام النساء" [2].

ولعل التوسّع في درس التأنيث بمستوياته اللغوية المختلفة ينبئ عن الاحتفاء بهذه الظاهرة، فخصصت العربية صيَغاً وألفاظاً للنساء وحدهن، نحو: كاعب، حائض، حامل، مرضع، ناهد، طالق، ...

"فظاهرة التأنيث صرفياً ونحوياً في اللغة العربية محورها المرأة (في الأصل على الأقل)، وهي ظواهر متشعّبة ومنوّعة، ولكنها جميعاً تَرِدُ إلى فكرة واحدة، وهي تَفَرُّد المرأة بنمط من الخطاب اللغوي خاص بها هو خطاب التأنيث في العربية" [3].

أما في العصور الحديثة فلم تكن العناية بلغة الجنسين على أيدي اللغويين، إنما نهض بها علماء الإناسة (الأنثروبولوجيا)، فحين عرضوا

---

[1] ابن جني: اللمع في العربية، ص12.

[2] الباقلاّني: إعجاز القرآن: ص81.

[3] كمال بشر: علم اللغة الاجتماعي، ص211.

للشعوب البدائية أشاروا إلى هذه الفروق اللغوية للجنسيين، نحو ما قامت به الدراسات في القرن السابع عشر للخلاف اللغوي في مجتمع الهنود الكاريبيين.

وتواصلت هذه الجهود من خلال الإرساليات الأوروبية لشعوب آسيا وإفريقيا.

سجّل علماء الإناسة ملحوظاتهم عن الشعوب الأسيوية والإفريقية، وبعض الشعوب البدائية، ذكر "فريزر (Frazer) في بداية القرن العشرين أنّ بعض الشعوب الإفريقية تحظر على نسائها البوح باسم حميها أو أحد أقاربها الذكور، أو أحد مشتقات هذه الأسماء.

والتفت بعض الباحثين في الإناسة إلى لغة الرجل والمرأة حين درس بعض الشعوب الإفريقية والاسترالية والهنود الأمريكية ... "[1].

ازدادت العناية بالتمايز اللغوي للجنسين حين شارك علماءُ الاجتماع الباحثين في حقل الإناسة، فربطوا بين الخصائص اللغوية ومتغيرات الجنس والمجتمع والبيئة، وأثر ذلك على الكلام. ولم تبقَ هذه الانطباعات نتاج الملاحظة وحسب، بل انبرى العلماء لإجراء الاختبارات وتسجيل الوقائع اللغوية؛ للوقوف إلى الخصائص اللغوية للجنسين، والعلل الكامنة في هذا التباين.

وعلى الرغم مما بذله علماء الإناسة وعلماء الاجتماع من وُكْد في الإشارة إلى موضوع اللغة واختلاف الجنسين، إلا أنّ نهوض الحركات النِسْوِيّة أذكى جذوة البحث في الخصائص اللغوية للجنسين، فأُفْرِدَتْ دراسات تُعنى بالمرأة واللغة، وأشكال التحيّز اللغوي وسبل تعديله.

---

[1] أحمد مختار عمر: اللغة واختلاف الجنسين، ص7، نقلاً عن:
Japanese Women's Language, by. J.Shibamoto, p.4.

برز من هؤلاء الباحثين والباحثات:

- فان جنكن (Van Genneken): De sociologische structuur der Neder landsche, 1913، "بناء علم الاجتماع في هولندا".

ويسبرسن (Jespersen): Language: Its nature, development anc. origin, 1922، "اللغة: طبيعتها، تطورها، أصلها".

وكي (Key): Linguistic behaviour of male and female, 1972، "السلوك اللغوي للذكر والأنثى".

وميلر وسويفت (Miller and Swift): Word and women,1972، "الكلمة والنساء".

ولاكوف (Lakoff): Language and women's place, 1973، "اللغة ومكانة النساء".

وتابع الباحثون دراسة السلوك اللغوي للجنسين، فظهرت دراسات، منها:

ثورن وهنيلي (Thorne and Henely): Language and Sex, 1975، "اللغة والجنس".

وكيت ميليت (Kate Millett) : Sexual Politics, 1977 ، "السياسة الجنسية".

وإيكنز وإيكنز (Eakins and Eakins): Sex differences in human communication, 1978، "الاختلافات الجنسية في التواصل الإنساني".

وياغيلّو (Yaguello): Less mots et les femmes, 1978 ، "الكلمات المشتقة والمرأة".

وسبندر (Spender): Man made language, 1980 ، "لغة من صنع الرجل".

وكامرون (Cameron): Feminism and linguistic theory, 1985، "النسوية والنظرية اللغوية".

وكوتس (Coates): Women, men and language, 1986، "النساء، الرجال، اللغة".

– دِد بروَر ودوريان دي هان (De'de Brouwer and Dorian de Hann (eds)).

Women's Language, Socialization and Self-image, 1987. "لغة النساء، المخالطة والصورة الذاتية".

– آن باولز (Anne Pauwels). Women changing Language, 1998

كامرون The Feminist Critique of Language, 1998 (Cameron (ed)) "النقد النسوي للغة".

وغيرها من الدراسات ...

لقد احتفت اللسانيات الاجتماعية بعامل الجنس متغيراً مستقلاً في السلوك اللغوي، إضافة إلى العامل الاجتماعي، والعامل الاقتصادي، وعامل السن.

في البَدْء كان الاهتمام مُنْصبّاً على اختبار المشاعر والعواطف الخاصة بالفرد، سواء كان رجلاً أو امرأة عند الحديث عن الخصائص اللغوية للجنسين، فالعبارات الحَدْسية في حديث النساء أو الرجال تومىء إلى اختلافات بينهما على المستوى اللفظي أو التركيبي، أو الدلالي ... ولعل ذلك ما دفع الدارسين إلى اختبار هذه الخصائص المائزة للجنسين وربطها بسياقها.

ولكنّ ثمة مُشْكل اعتاص على الباحثين، هو: هل الاختلافات اللغوية بين الجنسين بمكنتها أن تُفْرِد لغة للرجل وأخرى للأنثى؟

تباينت آراء الدارسين في ذلك، فمنهم من رفض فكرة الإقرار بلغة للمرأة مُباينَة للغة الرجل، "ومن هؤلاء يسبرسن (Jespersen)، إذ عدّ الفروقات اللغوية بين الجنسين خصائص تأتلف في منظومة اللغة، ولا تستقل بذاتها.

ودعا كرامر (Kramer) إلى إجراء بحث عن الإشارات إلى الجنس في اللغة علـــى وجه العموم؛ لمعاينة لغة الرجل ولغة المرأة، ولا سيما أنّ ثمة ملامح في اللغة التقليدية المستعملة محظورة على النساء، وأخرى تتشح بمُسْحَة أُنثوية، نحو:

lovely, sweet, charming, darling, pretty, nice, cute, precious".[1]

إنّ اختلاف لغة الرجل عن لغة المرأة يتناسب تناسباً طردياً والاختلاط القائم بين الجنسين، فالشعوب التي يقل فيها اختلاط الرجال بالنســـاء، أو يعيش فيها كلا الجنسين بمَعْزِل عن الآخر تحت تأثير نظم دينية أو تقاليد اجتماعية، تَبْرُز فيها لهجة الرجال مباينة للهجة النساء.

"وكلما استحكمت حلقات الانفصال بين الجنسين تكثر مظاهر الاختلاف اللغوي، حتى إنّه لينشأ لكل منهما من جرّاء ذلك -أحياناً- لهجة تختلف اختلافاً بيّناً عن لهجة الآخر، أو تحتوي لهجة كل منهما على مفردات وجمل كثيرة لا تُسْتَخْدَم في اللهجة الأخرى، وقد لوحظ ذلك في بعض الشعوب البدائية على الأخص.

[1] The Female World, by Jessie Bernard, PP, 380-382.

وكلما خفّت قيود الاختلاط بين الجنسين يخفّ هذا الاختلاف اللغوي، فتقتصر مظاهره على بعض الفروق اليسيرة في الأصوات والمفردات والجمل والأساليب"[1].

وذهب ماكس أدلر Max Adler إلى "أنّ الاختلافات اللغوية بين الرجل والمرأة في بريطانيا كانت في الماضي أكثر؛ لأنّ الحياة الاجتماعية للجنسين كانت مُحافِظة ومُغْلَقة، على غير ما هو متحقّق في العصر الراهن"[2].

تقترن الاختلافات اللغوية بين الجنسين بالمتغيرات الاجتماعية، فالمرأة تميل إلى المحافظة في اللغة أكثر من الرجل، وهي أكثر التزاماً بالأعراف اللغوية والاجتماعية، ولعلها أكثر مقاومة للتغيير، ويمكن أنْ تُرَدّ حساسية المرأة نحو المعيار اللغوي إلـى وضعها الاجتماعي غير الآمن، فتسعى لتحقيق المنزلة، وإظهار التضامن.

"إنّ إفراد لغة المرأة يؤكّد فكرة التنوع اللغوي المصاحب لتنوع الأوضاع الاجتماعية، والتمثيل لهذا النوع باختيار لغة المرأة لما تنتظمه من ظواهر تخفى على الكثيرين، وهي في الوقت نفسه تقدم مورداً ثرياً للمهتمين بشؤون المرأة"[3].

لم تقتصر الدراسات التي عاينت السلوك اللغوي للجنسين على الوصف، بل ربطته بالمتغيرات الفاعلة كالعوامل الاجتماعية والثقافية، بعد أن كانت الفروق بين الجنسين تُعزى إلى العوامل البيولوجية وحسب.

وأظن أنّ الإلماع إلى بعض الخصائص اللغوية للجنسين مَنْبَأة للتزامل بين اللغوي والاجتماعي. لذا عَرَضْتُ للخصائص اللغوية للجنسين على

[1] علي عبد الواحد وافي: اللغة والمجتمع، ص187.

[2] Sex Differences in Human Speech, by Max Adler, P53.

[3] كمال بشر: علم اللغة الاجتماعي، ص206.

المستوى الصوتي والنطقي، والمستوى النحوي والصرفي، والمستوى الدلالي، والمستوى الأسلوبي، وقفلتُ ذلك بالسلوك اللغوي غير اللفظي.

وقد اقتفيتُ أسلوب "تحليل المضمون" في جمع المادة، إذ إنّ هذا الأسلوب يقوم على أساس أنّ السلوك اللغوي هو نوع من السلوك الإنساني، وبالتالي فهو تعبير عن حدث ما*.

وراوحت في رصد الخصائص اللغوية للجنسين بين ثلاثة أنواع من تحليل المضمون.

1. التحليل الكمي الذي يعتمد على القياس والإحصاء باستخدام الأرقام، وقياس التّكْرار، مما يعكس درجة الاهتمام بفكرة ما.
2. والتحليل النوعي: الذي يقوم على أساس البحث عن وجود صفة معينة أو عدم وجودها.
3. التحليل الكيفي: الذي لا يعتمد على القياس والإحصاء بل يقوم على انطباعات المحلّل واستنتاجاته عن المادة.

وقد صدرتُ في هذه الدراسة عن الافتراضات التي قرّرها الباحثون والباحثات حين درسوا السلوك اللغوي للجنسين.

الخصائص الصوتية والنطقية:

يقف الباحث في السلوك اللغوي للجنسين على جملة من السمات الصوتية والنطقية تميز الرجال من النساء، منها:

أنّ النساء لديهن مجال واسع في القدرة على الترنيم باستخدام مستوى عالٍ من طبقات الصوت الذي يتجنبه الرجال عادة، وهذا المستوى من طبقات

* للاستزادة: ينظر: ناتاليا ريكو: معجم العلوم الاجتماعية، ترجمة توفيق سلوم، ص56 وما بعدها.

الصوت يمكن أن يكون مصحوباً بتعبير عاطفي، مثل السؤال التابع في نهاية الجملة.

- تتفوق البنات في استخدام الخصائص الصوتية فوق التركيبية (كالتنغيم، والنغمة)، ويُلحَظ ذلك جليّاً حين يَسْرُدُ ولد أوبنت قصة ما، فالبنت توظِّف التلوينات الصوتية في سردها أكثر من الولد.
- الإناث يستعملن أنماطاً من التنغيم/ تنغيم الجملة تزيد عما يستعمله الذكور، ويَلُفَّ تنغيم المرأة غِلالَة من العاطفة واللِّين، لذا تبدو أصوات الإناث أكثر موسيقية وإيضاحاً من أصوات الذكور.
- النساء يتكلمن بطبقة صوتية عالية ورفيعة تتشابه مع الطبقة الصوتية عند الأطفال، فالنساء والأطفال أحدُّ أصواتاً من الرجال؛ "لأنَّ الوترين الصوتيين للأطفال والنساء أقصر، وأقل ضخامة*، ويؤدي هذا إلى زيادة في سرعتهما وعدد ذبذباتهما في الثانية"[1].
- تميل المرأة في الإلقاء والأداء النطقي للكلام إلى السرعة النسبية، وقواعد النبر وطرائق توزيعه في الجملة والعبارة، وكذلك الحال في موسيقى الكلام.

"وتتراوح تردد نغمة الأساس عند الذكر العادي ما بين 100 و200 ذبذبة في الثانية، ويزيد تردد نغمة الأنثى العادية على ذلك بطبقة موسيقية واحدة One Octave ؛ أي يكون ضعف تردد نغمة الأساس عند الذكر، ويبلغ

---

* يتراوح طول كل الوترين الصوتيين حوالي 1/2 9مم، وعند تمام البلوغ يتراوح الوتر عند الذكر بين 17و 23 مم، وعند الأنثى من 1/2 12 إلى 17 مم. ويتميز تكوين الوترين الصوتيين عند الأنثى باشتماله على كمية أقل من الأنسجة العصبية والعضلية والدهنية، ومن ثم يكونان من حيث الطول والعرض أقل من وتري الذكور ...

ينظر: سعد مصلوح: دراسة السمع والكلام، ص218.

[1] إبراهيم أنيس: الأصوات اللغوية، ص 8.

المعدل النمطي لتردد صوت الذكر 120 ذبذبة في الثانية، وصوت الأنثى 220 ذبذبة في الثانية"[1].

- تستخدم المرأة النبرة الخافضة لأنها بلا قوة، وبالتالي أكثر ضعفاً، وتظهـر اهتماماً عن طريق سؤالها ومقاطعتها. وتظهر طلاقة أكثر من الرجل.

فقد أُجرِيَتْ دراسة لإنتاج الكلام للرجل والمرأة، وخَلُصَتْ إلى أنّ: المرأة تنتـج 1.68 كلمة في الثانية عندما تتكلم مع رجل، و 2.43 كلمة في الثانية حين تتحدث مع امرأة، أما الرجل فينتج 2.13 كلمة في الثانية حين يتحدث مع رجل و 2.02 كلمة في الثانية حين يتحدث مع امرأة"[2].

- النساء أميل إلى اتباع طريقة النطق الحديث، فقد انتهى (جوشات) في دراسته للفروق الصوتية بين أفراد الجماعة اللغوية التي تضم المنطقة الفرنسية في سويسرا إلى أنّ النساء أشدّ اتباعاً لطريقة النطق الحديث، ودفعه ذلك ليقرر أنّ دور المرأة في التطور الصوتي، أكبر خطراً من دور الرجل، وعلّل ذلك بأنّ النساء لا يعشن جيلهن وحسب، بل يشاطرن الأجيال الناشئة حياتهم كذلك، فهنّ أكثر من الرجال صلة بالطفل والفتى، والأمر على العكس من ذلك للرجال؛ إذ إنّ مجال نشاطهم هو المصنع أو المزرعة أو المكتب، حيث يشاركهم هذا النشاط سواهم ممن يماثلونهم في السن.

---

[1] سعد مصلوح: دراسة السمع والكلام، ص 218.

[2] Hesitany in Female and Male Speech, by Lia Brekweg, p18.

ومعنى ذلك أنَّ البيئة اللغوية للمرأة بيئة الجيل الناشئ، أما البيئة اللغوية للرجل فهي بيئة الشباب والكهول"[1].

وتُلْحَظ هذه الظاهرة بين الطالبات في الجامعات، حيث تميل الطالبات – حتى أولئك القادمات من بيئات قروية أو بدوية – إلى اتباع لغة أهل المدن، فيرقِّقن الأصوات وينطقن القاف همزة إلى غيرها من الظواهر الصوتية الشائعة بين أهل المدن؛ ظناً منهن أنَّ ذلك أقرب إلى التحضر والرُّقي.

وقد أُجريتْ دراسة لبيان الوظيفة الاجتماعية في التنوع اللغوي، واتخذت الدراسة لهجة عمَّان عينــة ممثِّلة، وخلصتْ إلى أنَّ: المرأة في اللهجة الأردنيــة تحرص علـــى لفظ /ق/ءَ رمزاً للدَّرجة والرتبــة الاجتماعية (البرستيج). ويميل الرجال إلى نطق [ق] "g" كنطق الجيم القاهرية؛ لأنهم يعتبرون ذلك أصلب، وأكثر رجولة.

ويتجنَّب بعض المراهقين الأردنيين المظاهر الأنثوية مثل /ء/ بدلاً من /ق / ويعدُّونها لغة مخنَّثة، ويفضل هؤلاء أن يستخدموا المظاهر الذكورية التي منها [ج] بدلاً من [ق] /ك/ لشعورهم أنها مناسبة للهوية الذكورية"[2].

وترى كامرون (Cameron) "أنَّ الرغبة في التميُّز لدى النساء يدفعهن إلى ترقيق أصواتهن وليست عوامل فسيولوجية"[3].

– تميل المرأة إلى ترقيق الأصوات غالباً، ولا سيما أصوات الإطباق (ص، ض، ط، ظ) وهذه الأصوات لا تظهر قيمتها الدلالية إلا بالتفخيم، بَيْدَ أنَّ المرأة تنزع في نطقها إلى الترقيق، فتُشْرِب الطاء تاء،

---

[1] بسر من: اللغة بين الفرد والمجتمع، ص 36.

[2] Social Functions of Language Variation, by Hassan Abd-El-Jawad Al-Abhath. American University of Beirut. 1986, PP 22-26.

[3] Feminism and Linguistic Theory, by Cameron, p 52.

والظاء دالاً أو زاياً، والصاد سيناً، وتَنْطُق الراء المفخمة كالراء المرققة أخذاً بالدُّرْجة.

- يميل الرجال والمراهقون الذكور في الأصوات الشَفوية والأصوات الأنفية إلى النطق من الأنف؛ لاعتقاد هؤلاء أنَّ هذا النطق أكثر حزماً وخشونة.

وفي لغة التودُّد والغزل تَبْرُز الأصوات الخفيفة والأنفية عند الذكور والأصوات الشفوية، وأصوات القهقهة تُسْمَع من الإناث. وتتميز أصوات الذكور من الإناث عند ممارسة التقليد الازدرائي.

- يكثر في حديث النساء الأصوات الحَشْوِية أو المطاطية، نحو: م م، هـ م م، آ آ م، لإظهار الاهتمام بحديث المتكلم والتفاعل معه.

وترى هيرشمان (Hirshman) "أنَّ النساء يؤكِّدن الدعم والانتباه والموافقة من خلال استخدام hmm, hm, mm ، وهذه الخصائص لوحظت في الحديث الأنثوي- الأنثوي أكثر من الحديث الأنثوي-الذكري"[1].

- يميل الأطفال الذكور إلى التنغيم الهابط والمستوى أكثر من الصاعد، ولكنَّ البنات يوظفن التنغيم الصاعد أكثر من التنغيم المستوي والهابط.

- تتفوق البنات على البنين في الطلاقة اللغوية والتَهجِّي في مختلف المراحل العمرية، إلا أنَّ الفرق سرعان ما يتضاءل في سن 72 شهراً.

وفيما يتعلق باضطرابات الكلام وعيوبه فتبين أنَّ الذكور لديهم عيوب كلامية كالتأتأة والتلعثم تفوق ما لدى الإناث بخمسة أضعاف.

---

[1] The Female World, by Jessie Bernard, P 379.

"ويشير ميلر (Miller) إلى أنّه في معظم مستويات الأعمار كان كلام الذكور أقل وضوحاً، وتكون نسبة الكلمات المفهومة في سن سنة ونصف 38% لدى البنات في حين تبلغ 14% لدى الذكور.

وتصل البنات إلى مرحلة السيطرة على الأصوات في عمر السادسة والنصف، في حين يبلغ الأولاد ذلك في السابعة والنصف ..."[1].

ولعل مرجع ذلك يعود إلى أنّ الأولاد أكثر ارتباطاً بالألعاب الساكنة كالمكعبات والسيارات، والأسلحة، ... وغيرها من الألعاب التي لا تحمل قيمة حوارية، فيما ترتبط البنات بالعرائس وأدوات المطبخ، وهذه الألعاب تنطوي على قيم حوارية عالية[2].

ينضاف إلى ذلك أنّ البنات أكثر توحداً مع أمهاتهن، فالتواصل والحوار يكون أكثر وضوحاً وحرية من الأولاد الذين يَتَوَحّدون مع آبائهم الذين يرتبطون بمهنهم، فيقلّ التواصل والاختلاط مع أبنائهم.

الخصائص النحوية والصرفية:

تميل المرأة إلى البناء النموذجي للتركيب والأسئلة القصيرة التي تظهر النبرة التساؤلية عند تأكيد شيء، نحو: أليس كذلك؟ هل توافقني؟ هذا هو النهج الصحيح، أم لا؟ ...

وتتطلع المرأة من استخدام السؤال القصير Tag question لبث المعنى دون مخاطرة كبيرة.

وتفترض روبين لاكوف (Robin Lakoff) "أنّ استخدام المرأة للسؤال القصير يعكس شخصيتها وهو جزء من عدم أخذ المرأة على محمل الجِدّ؛ لأنّ

[1] ينظر: صباح حنا هرمز: الثروة اللغوية للأطفال العرب ورعايتها، ص55 ـ وما بعدها.

[2] ينظر: أحمد مختار عمر: اللغة واختلاف الجنسين، ص149.

مثل هذا الاستخدام للسؤال يؤكد أنها لا تستطيع أنْ تصدر قراراً، وبالتالي عدم الثقة بها لتحمُّل المسؤولية.. "[1].

وتتّسم الأسئلة القصيرة ببعض الخصائص، منها: أنها تُشتق من أي جملة مثبتة أو منفية بشرط أن تصرح العبارة برأي المتكلم، وهي أو هو لديه السبب لأنْ نكون غير متأكدين من رأيه"[2].

ويبدو أنّ استخدام الأسئلة القصيرة بتنغيم صاعد مظهر من مظاهر تأدب المرأة، وترك الحديث مُشْرَعاً.

- تُكثِر بعض النساء في أحاديثهن من الضمائر: أنا، لي، أنتِ/ أنتَ، لكِ/ لكَ، نحن/ لنا، مما يضفي تفاعلاً وتواصلاً على الحديث، فالمرأة تظهر اندماجاً أكثر من الرجل، وتتوجه بحديثها للمخاطب/ة أكثر من الرجل.
- تُقلِّل المرأة من التراكيب الدالة على الأمر لطلب فعل ما، فهي أميَل إلى استخدام الأسلوب المؤدب الذي لا يثير نَحيزَة المخاطب، فيَشيع في حديثها: إذا تكرّمت أغلق الباب، من فضلك عمل كذا، إذا سمحت ...، وتَستَخدم لوازم سابقة للطلب مع من تربطها بهم علاقة حميمة، نحو: يا عزيزي/ يا حبيبي/ يا نور عيني/ يا روحي، تريد كذا ...
- تَكثُر في لغة المرأة التراكيب الشكلية Modal التي تشير إلى أنواع الحديث، والإمكانات والاحتمالات، والشك في الأحداث التي وقعت أو التي سوف تقع، فيستعملن كلمات، مثل: أظن، يتهيأ لي، أتصوَّر، أتوقع، يمكن، يُحتَمل ...، وهُنّ يستعملن هذه الكلمات كثيراً؛ لإظهار الغموض وعدم الجزم"[3].

---

[1] The Feminist Critique of Language, by Deborah Cameron (ed), p 246.

[2] Women's Language, p 176.

[3] Male and Female Language, by key, P. 75

- تميل المرأة في حديثها إلى الألفاظ المدعِّمة والمبالغة لتَعضُد فكرتها، نحو: رائع كثير، كبير، أبداً، جداً، مطلقاً، هائل، تماماً، ...
- تستخدم المرأة الأسماء أكثر من استخدام الأفعال، فهي تميل إلى استخدام الأحداث ذات المسند الوصفي، فيما يميل الذكور إلى استخدام الأفعال بكثرة.

"ويُعلِّل بعض الدارسين أنَّ التفاوت في استخدام الأفعال والأسماء مآله إلى طبيعة الجنس، فالتعبير بالأحداث يفضي إلى سيطرة فاعلة، أما التعبير بالأسماء فيعني قبولاً والتزاماً.

وينسحب ذلك على استخدام المرأة للأفعال اللازمة والسكونية، في حين يميل الرجل إلى الأفعال المتعدية المتضمنة حركة ونشاطاً، لأنَّ الرجل ينحو إلى الفعل والسيطرة"[1].

- تستخدم المرأة جمل التعجب، والجمل الاعتراضية، والأدوات والحروف أكثر من الرجل فيشيع في حديث المرأة استخدام: حقاً، صدقاً، فعلاً، فعلياً، ما أروعه! ما أجملها !، (ما أفظعها)!، ما ألذها!...

وهذه أساليب مالئة، أو مُكمِّلة لا معنى لها كما يقرر اللغويون، إذ إنَّ الجمل الاعتراضية والمكمِّلات (التي ليس لها دور وظيفي فيما يخص المحتوى) تُضعِف حقيقة الشيء المراد بثِّه. "ويذهب بعض الباحثين إلى أنَّ هذه الأساليب تُحدِّد وظيفة اجتماعية (كالسياق، والإقناع والتنوع..) وتربط بين المتكلم والمخاطب، فحين نسمع في الإنجليزية هاتين الجملتين:

a- Oh dear, ...
b- Shit, You've, ...

[1] أحمد مختار عمر: اللغة واختلاف الجنسين، ص111، نقلاً عن:
Language, the Sexes and Society, by Philip, Smith, p53.

فمن المتوقع أن نصنّف الجملة الأولى بأنها لغة امرأة، والجملة الثانية ... Shit, You've, لغة رجل*، ولو استخدمت المرأة الجملة الثانية لاستهجن المستمعون ذلك، ونعتوها بالمسترجلة"[1].

وأحسب أنّ انتحاء المرأة للصفات الدالة علــى قوة العاطفة يُلْمِحُ إلى مزيد من تأكيد الفكرة والتأثير في المستمعين/المستمعات، لذا تتكرر ألفاظ المجاملة والمبالغة، مثل: فظيع، رائع، حبّاب/ حبّوبة، زين/زينة، ياخذ العقل، حُلو، جذّاب، جميل، لطيف، لذيذ، فتّان، فاتن، (يهوّس)، (يجنّن) وأحياناً تستبدل (شو) بما التعجبية للتعبير عن التفاعل مع الحدث.

- النساء أكثر استخداماً للجمل المفتوحة غير المُكتمِلة والمتردّدة وغير المحددة، فهن يقفزن من جملة إلى أخرى دون وضع نهاية لجملهن، لذا يتسم كلام المرأة بالتنوع وتراسل الأفكار، أكثر من حديث الرجل الذي يميل إلى التحديد والتكثيف وحصر الموضوعات.

وترى لاكوف (Lakoff) "أنّ كلام المرأة يبدو أكثر تأدباً من كلام الرجل، وأحد معالم التأدب في الكلام ترك النقاش مفتوحاً، وعدم فرض الرأي أو الفكرة"[2].

---

* يُلحظ أنّ تعبيرات الدعاء القوية كالتذمر والسخط والسباب موقوفة على الرجال ، أما التعبيرات الضعيفة فهي للنساء، ويمكن أن نتساءل ماذا نعني بالقوى، والضعف إذا كانت هذه الحروف (حروف التعجب أو صيغه) بالفعل لا معنى لها؟.

إنّ الفرق بين استخدام shit (سُحقاً) أو damn (اللعنة)، أو واحدة من عبارات الشتيمة الأخرى، وبين يا عزيزي، أو يا إلهي، ... يكمن في قوة التعبير عن الشعور لذلك يمكن القول إنّ اختيار أداة أو عبارة التعجب، أو السخط، عائد إلى أي مدى يسمح الشخص لنفسه أن ينفعل لموقف ما.

* See: The Feminist Critique of Language, p 245.

[1] Ibid. P. 246

[2] The Feminist Critique of Language, p 247.

وثمة تعليل آخر "أنّ الجمل المفتوحة نتاج القلق والاضطراب وعدم الثقة لدى المرأة"[1].

الخصائص الدلالية:

تَنْهَج المرأة في سلوكها اللغوي سُبُلاً تمنحها الاحترام والتقدير، لذا تميل إلـــى اتِّباع العُرْف اللغوي والاجتماعي.

أما الرجل فهو أكثر خروجاً على القارّ، وأقل التزاماً بالمسْطُورات الاجتماعيـــة. "فالمجتمع يفرض على الرجل والمرأة أدواراً اجتماعية بأعيانها، ويتوقع منهما أن يسلكا طريقاً مرسوماً يختلف عن الآخر. ويمكن القول: إنّ اللغة تعكس هذه الحقيقة الاجتماعية ذاتها، فحديث أو (كلام) الرجل والمرأة لا يختلفان وحسب، بل إنّ كلام المرأة أفضل اجتماعياً من لغة الرّجُل، وهذا يعكس الحقيقة الاجتماعية التي تنتظر من المرأة سلوكاً اجتماعياً أرقى من الرجل يتسق ودورها المرسوم"[2].

- تنأى المرأة عن الاقتراب من الألفاظ ذات الدلالة النابية أو الجارحة، وتفضّل التلميح أو الإيماء، إذا اضطرها الموقف.

يذكر هدسون (Hudson): "أنّ النساء تميل نحو استخدام التعبيرات ذات المكانة الاجتماعية الراقية أكثر من الذكور الذين ينتمون إلى الخلفيـــة الاجتماعية نفسها، وهي نتيجة لميل النساء إلى اتخاذ مواقف أكثر إيجابية تجاه اللهجة المتواضع عليها"[3].

---

[1] Women's Language, p 142.

[2] محمود أبو زيد: اللغة بين الثقافة والمجتمع، ص 186.

[3] هدسون: علم اللغة الاجتماعي، ص190.

ويُلْحَظ أنَّ المرأة أقل استخداماً لأجزاء معينة من الجسم كالفخذ، والقفا، والثدي، والأعضاء التناسلية للجنسين ....، أما الرجل فلا يأنف من ذكر تلك الألفاظ صراحة.

ولعل ذلك ينسجم مع التنشئة الاجتماعية للذكر والأنثى، فسلوك الأنثى مشروط بهالة من المُحَرَّمات (Taboo) يجب مراعاتها، أما الذكر فله فضاؤه الذي يمنحه حرية وجُرْأة.

- يحرص الرجل حين يخاطب المرأة على انتقاء الكلمات التي تصطبغ بدلالة الاحترام ومراعاة كرامة المرأة، لذا يتجنّب الألفاظ غير اللائقة أو تلك التراكيب التي تحتمل تفسيرات متعددة.
  ويتردد الرجل في تداول النكات البذيئة، أو السُّبَاب الجارح على مَسْمَع من النساء.
- تتفوق المرأة على الرجل في وصف الحالة "فالرجل والمرأة قد ينظران إلى حائط له ظلال زَهْري، فيصفه الرجل بأنه أحمر فاتح. أما المرأة فتنعته بأنه: بنفسجي زاهٍ"[1].
- تميل المرأة إلى الألفاظ السهلة والليّنة المأخَذ، أما الرجل فَيُشْرِب حديثه ألفاظاً صعبة ومعقّدة، وقد يعود ذلك إلى أنَّ المرأة تبتغي التأثير والتواصل مع المخاطبين/ المخاطبات، أما الرجل فهو أميَل إلى استعراض معارفه وإبداء تفوقه.
- يتحدث بعض الرجال في كلامهم غير الرسمي عن الموضوعات المجرَّدة والتقنية والرياضية وعن أعماله ومشروعاته ...، وتُفضِّل

[1] The Feminist Critique of Language, p 244.

بعض النساء التحدث عن العائلة والأصدقاء والصديقات، والأمور البيتية، وبعض الطقوس الاجتماعية، ...

- تحمل بعض الألفاظ دلالة مغايرة فيما لو أطلقت على أحد الجنسين، فالسَّيِّد هو الرجل المحترم، أما السَّيِّدة: فهي المرأة المتزوجة.
- ابن شارع: غير المؤدَّب.
- بنت شارع: لقيطة، أو مُومِس.
- وقع الرجل: تعثَّر، أو أصيب بمكروه.
- وقعت المرأة: أي سقطت في الرذيلة.

وغيرها من الألفاظ التي تكتسي غِلالة من ثقافة المجتمع السائدة.

تَميز المرأة الألوان مَيْزاً دقيقاً أكثر من الرجل، فتشيع على ألسنة النساء – وخاصة المتطلعات نحو الدُّرْجَة – ألوان: الأحمر، والعنَّابي، (الموف)، والبصلي، والكَمُّوني، الفوشي، والأرجواني، والبيج، والطحيني، والكستنائي، والسُّكَّري، والنِّيلي، والتركُوَاز، والرصاصي، والشَّمَّامي، والذهبي، والكريمي، واللازوردي، ...

أما الرجال فيميلون إلى المقاربة في الألوان، وتتردد لديهم ألوان بأعيانها: كالأبيض، والأزرق، والأخضر، والأسود، والكحلي، والبُنِّي، والسَّكَني، ...

ويعزو بعض الرجال اهتمام المرأة بالتفريق بين الألوان إلى سذاجة المرأة وتفاهة هذا الصنيع، فلا يُتوقَّع من المرأة أنْ تتخذ قرارات في الأمور المهمة لذا تنشغل بتسمية هذا أرجواني، وذاك فيروزي.

وقد اتفقَ على أنّ هذا التفاوت الكلامي يوحي إلى التفرقة الاجتماعية، فلا يستطيع أحد أن يضع التشريعات ضد استخدام بنفسجي وعنابي من قِبَل النساء أو إجبار الرجال على استخدامها.

ذكرت لاكوف (Lakoff): "أنها سمعت رجلاً يضحك ضحكات متتالية؛ لاستماعه نقاشاً بين شخصين حول غلاف الكتاب إن كان بنفسجياً أو عنابياً، فالرجل يرى أنّ هذا الحوار مسلٍ، لأنّ الانكباب على الأمور التافهة مضيعة للوقت" [1].

وأرى أنّ ارتباط المرأة بالألوان مَبْعثُه شغف المرأة بالأناقة والزينة؛ لأنّ اللباس لغة مُعَضِّدة للسلوك الكلامي، فالمرأة أميل إلى التفاصيل الدقيقة رغبة في التميُّز، وطلباً للحُظْوَة والقَبول.

أما الرجل فإنّه ينحاز إلى المحافظة في ألوانه ولباسه؛ لئلا يوسم بالأنوثة أو التخنث، وإنّ كانت هذه القيم آخذة بالتضاؤل مع تسارع (التقليعات)، وتنافس دور الأزياء على كسر المألوف والرتيب.

الخصائص الأسلوبية:

- تستخدم المرأة في لغتها جُملاً قصيرة، وأقل تعقيداً، ويميل الرجل إلى الجمل الطويلة التي تنطوي على التعقيد والتجريد والافتراض؛ ليتمكن من السيطرة على الكلام ولفت الأنظار.

وتعزو فيرجينا وولف (F.Woolf) الجمل البسيطة لدى المــرأة إلى "أنّ شـــــكل الجملة لا يناسب المرأة؛ لأنّ الجُمل من صنع الرجال، وهي جمل ثقيلة جداً، مُتشدِّقة لا تصلح لاستخدام المرأة. إنّ الجمل هي فعلياً صناعة

[1] See: The Feminist Critique of Language, p 244.

رجل، فلا تستطيع المرأة أنْ تُكيِّف أفكارها وخلجاتها في لغة صيغت وَفْقاً لحاجات الذكر"[1].

- يغلب على أسلوب المرأة التّكرار والمؤكِّدات والمكثِّفات، وتقلّل من الحلْف والمُزاح والكلمات العدائية، ولديها استعداد لتغيير أقوالها والتراجع عن كلامها، لذا تبدو المرأة في حديثها متواضعة وليست مُتَطفِّلة، ولا ترغب في أنْ تستأثر بالحديث.

أما الرجل فيميل إلى التكثيف، والتنافس، وينحو إلى اللغة الشارحة إذا كان يخاطب أنثى، ولكنه لا يصبر على الاستماع لشروح الأنثى؛ لأنه يَعُدّ شرحها ثرثرة ولغواً.

- تتفرد المرأة بعبارات خاصة بها لا يستخدمها الرجل، نحو:

يا وَرْدي، (يا خيبتي)، يا خُوستي، يا ويلتي، يا مصيبتي، يا شينتي، يا خيبتي، يا بَعد كبدي (تلفظها البدوية يا بَعد شْبدي)، يا ميمتي، يا سَندي، اسم الله حارسك، حوطّك بالله (أحاطك الله)، حوّطتك بياسين، ...

وهذه الأساليب تُضفي على حديث المرأة حميميّة، وتضامناً.

- تُكثِر المرأة من أساليب التأدّب والاعتذار، فهي تحترم مستمعيها، وتُصغِي إلى أقوالهم باهتمام، وتقلل من المقاطعة، أو تسفيه الآراء، وتُظهِرُ اندماجاً أكثر مع متحدثيها.

وهي تثمّن الذوق، وتطلب الإذن للحديث حين تتأكد من أنّ الجميع قد أتم حديثه؛ لذا تَشيع على لسانها عبارات: إنه يؤسفني أن أقول ...، من غير

---

[1] The Gendered Sentence, by Sara Mills, PP 66 – 67.

مؤاخذة، آسفة للمقاطعة، عفواً للتدخل، اسمح/ ي لي أن أبدي رأياً، أرجو التكرُّم بالحديث، ...

" أجرى غاس وفارونيس (Gass and Varonis) دراسة لمعاينة الحوار بين الجنسين، اختار الباحثان لدراستهما عشرين يابانياً يتعلمون الإنجليزية. وُزّع الطلاب في أزواج متقابلة (ذكر / أنثى)، لم يحدّد الباحثان نوّع الحوار ومدته، بل تركاه مُشْرَعاً. خلُصَتْ الدراسة إلى: أنْ هناك فروقاً بين الرجال والنساء في المشاركة، ومدة الحوار، وسيطرة كل منهما على توجيه الحديث والتأثير فيه.

وعقّب الباحثان أنّ النتائج تُشير إلى أنّ الذكور والإناث يستخدمون الحوار والنقاش بطريقة مختلفة، فالذكور ينتهزون الفرصة لينتجوا قدْراً أكبر من المخرجات الشاملة، فيما تستخدم النساء الحوار للحصول على قدْر أكبر من المُدْخَلات الشاملة"[1].

- تبدو المرأة في حديثها الرسمي أكثر تردداً من الرجل، "وقد أُجرِيَتْ دراسة لبحث التردد في كلام المرأة والرجل. صدرتْ هذه الدراسة عن فرضية روبين لاكوف: "أنّ المرأة تتردد وتستخدم أسلوباً أقل حزماً من الرجل".

ميّزت الدراسة أربع مجموعات للكلام المتردد:

أ- السؤال القصير: ويعني عدم التأكد في بعض الحالات، وعدم التأكد من رأي مسموح، ولكن هناك حالات يكون عدم التأكد غير مسموح به أو غير مشروع.

ب- الأفعال الظنية (التَجَنُبِيّة)، نحو: أفكر، أظن، أتوقع.

[1] Gender Differences and Second Language Acquisition, by Ali Shehadeh, Research Journal of Aleppo University, PP 76-77.

ج- الاحتمالات، نحو: ربما، على الأرجح، شيء من هذا القبيل، وهذا الأسلوب يضعف المحتوى الخاص بالمعنى للكلمة أو للتعبير.

د- المكمِّلات: وهي الكلمات أو التعبيرات التي ليس لها عمل وظيفي يدعم المحتوى. مثل: أنا أقصد، ما أريد قوله، آه، ... "[1].

إنّ تفسير صمت المرأة في الحديث أمر صعب، ولكن يُتوقَّع أنّ المرأة في الحديث الرسمي تكون في موقف مزدوج مما يسبب لها التردد في الحديث، "فإذا تكلمت بأسلوب امرأة، أحست أنّ ذلك لا يتناسب والأسلوب الرسمي، وإذا تحدثت بالأسلوب النموذجي/المعياري، قيل لها هذا لا ينسجم مع أسلوب المرأة في الكلام"[2].

التردد في كلام الجنسين:

آثرتُ أن أتحقق من التردد في حديث الجنسين؛ لظني أنّ صور التردد في كلام الذكر والأنثى ليس مبعثها التفوق الجوهري للرجال، أو الضعف المركوز في ذات النساء، إنما تنبئ هذه الصور عن توليفة اجتماعية ثقافية تركتْ إملاءاتها في ذوات الرجال والنساء.

حاولتُ اختبار الكلام المتردِّد للذكر والأنثى، فاخترتُ عشرة رجال وعشر نساء تتراوح أعمارهم بين العشرين سنة والثلاثين.

- فرضيات الدراسة:

اقتصرتُ على حزمة من الفرضيات أرى أنّ لها سيرورة بين الأفراد عن حديث الذكر والأنثى، ينضاف إلى ذلك أنّ كثيراً من الدراسات التي عُنيتْ بالسلوك اللغوي للجنسين أطبقت على تداولها، من هذه الفرضيات:

---

[1] Women's Language, p p 176-178.

[2] Ibid. P. 151.

- أنّ الفرق في الجنس يأخذ أدواراً مختلفة في الحديث، ولا سيّما الحديث المختلط بين الجنسين.
- يكتنف حديث المرأة مبالغات ومكثفات وتوكيدات أكثر من الرجل.
- تتعرض المرأة للمقاطعة في المحادثات التي تكون وجهاً لوجه.
- تميل المرأة إلى التكرار، وتراوح حول الفكرة الواحدة.
- المرأة أكثر ثرثرة من الرجل، وتُنتِجُ قدْراً أكبر من الكلام في الحديث غير الرسمي.
- تستعمل المرأة الأفعال الظنّية (التجنُّبية) أكثر من الرجل.

- منهج الدراسة:

اعتمدتُ منهج تحليل المحتوى Content Analysis؛ لأنه منهج ملائم لهذا النوع من الدراسات.

- عينة الدراسة:

تم اختيار العينة عشوائياً، مع مراعاة متغيرات:

1. جنس المتكلم. ذكر/أنثى.
2. أسلوب الحديث. رسمي/غير رسمي.
3. جنس المخاطب. ذكر/أنثى.

- الأسلوب الإحصائي: ملتُ إلى احتساب التكرار، ثم حصر النسبة المئوية لمجموع التكرار من المجموع الكلي لكل أسلوب.

قمتُ بتعزيز **الصدق والثبات** بوساطة اختيار العينة عشوائياً، وعرض أنموذج الدراسة على مختصين.

بعد تحليل الأداء انتهيتُ إلى جملة من المعطيات:

الكلام المتردِّد	المتغيــــــــرات			
	الحادثة	الأسلوب		مجموع الأسلوبين
	جنس المتكلم/المخاطب	غير الرسمي	الرسمي	
الاحتمالات	رجل مع رجل	2.36	1.37	3.73
	رجل مع امرأة	0.72	2.82	3.58
	امرأة مع امرأة	8.43	6.62	15.05
	امرأة مع رجل	6.56	10.67	17.23
المقاطعات	رجل مع رجل	3.65	2.85	6.50
	رجل مع امرأة	5.71	3.80	9.51
	امرأة مع امرأة	6.55	4.19	10.74
	امرأة مع رجل	3.13	2.1	5.14
المكملات	رجل مع رجل	8.27	6.31	14.58
	رجل مع امرأة	6.28	8.11	14.39
	امرأة مع امرأة	13.84	8.32	22.16
	امرأة مع رجل	9.18	7.25	16.43
التكرار	رجل مع رجل	5.26	1.23	6.46
	رجل مع امرأة	9.92	5.39	15.31
	امرأة مع امرأة	7.65	5.22	12.87
	امرأة مع رجل	4.96	7.51	12.47

مما لاحظته في هذه الدراسة:

- أنَّ الرجال أميَل إلى القطع في حديثهم، ويستأثرون بمدة أطول.
- أنَّ الرجل والنساء ينتجون كلاماً متردداً في الأسلوب الرسمي.
- أنَّ النساء أقل مقاطعة من الرجل، ولا سيما في الأسلوب الرسمي.
- يأخذ الرجال فرصاً أكبر في المبادرات الكلامية والتصحيحات فيما يُطرح.
- كانت النساء مساندات ومؤيدات في أحاديثهم مع الرجال، وأخذن المبادرة بالبناء على ما ذُكِر.
- مالت النساء إلى القفز في الموضوعات، وخاصة في حديث النساء إلى مثيلاتهنْ، وخصّصن وقتاً أطول للحديث عن الأمور الشخصية.
- انتهتْ بعض الدراسات إلى أنْ النساء أقل ميلاً من الرجال لإظهار الفوارق، ويأخذن أحاديث الرجال على محْمَل العناية والجدّة، فيما يَخصُّ الرجل بكلام المرأة، ويصفه بالثرثرة والخواء.

"ففي تجربة أجريتْ في جامعة بنسلفانيا (Pennsylvania) تم اختيار اثنين من الطلبة الخريجين، أحدهما رجل، والأخرى امرأة، وكانا متساويين في امتلاك مهارة الخطاب الشفوي.

كُلِّفَ الخريجان بإلقاء محاضرات مماثلة في موضوع علم الاجتماع، وكانت المحاضرات للنساء والرجال، تَحدّث كل محاضر لصفه في الموضوع الأول في الأسبوع الأول، وفي الأسبوع الثاني تحدثا في الموضوع الثاني، وقد أُخْبِرَ الطلاب – مسبقاً– أنهم سيُمتَحَنُون بالمعلومات التي أُلقيت في المحاضرات؛ لذا حَرَصَ الطلاب على المتابعة والتركيز.

وحين أُجري الاختبار كانت المعلومات التي نقلها الطلاب عن المرأة مصحوبـة بتعليقات مثل: هي قالت She said this، أو She made the point بمعنى أنها قدمت النقاط.

كانت هذه التعليقات أكثر في المعلومات التي نُقِلَت عن المرأة، أما المعلومـات التي ألقاها الرجل فكانت أكثر قبولاً وثقة من حديث المرأة"[1].

إنّ ارتباط حديث الرجل بالجِدّة والثقة، واقتران حديث المرأة بالريبة والهَزْل أمر لازب وراسخ في مسطورات الثقافة وقيم المجتمع؛ لأنّ الأدوار التي يشغلها الذكور والإناث متعيّنة في تحققات عديدة، فالقرار الفَصل يُعزى للرجل دائماً، أما المرأة فعليها الرضوخ والطاعة. فلم يرتبط دور المرأة بالمواقف الجادّة، إذ إنّ الشرْنَقَة التي ضربها المجتمع على المرأة أفضت إلى تفريغ شخصيتها من الفعل والتأثير.

لعل هذا الاعتقاد الذي سكبه المجتمع في عقول أفراده هو المحرّك لسلوكهم تجاه الذكر والأنثى؛ لذا يصدر الأفراد في تقييمهم لأدوار الذكر والأنثى عن قناعة مُسبَقة، فتفوّق الذكر هو المعيار الرتيب، أما مشاركة المرأة في الحل والعقد فانحراف واستثناء.

---

[1] The Female World, p p 382 - 384.

عبَّرتْ إحدى الأكاديميات عما تعانيه من الطريقة التي يتّبعها الطلاب والطالبات في الجامعة حين يخاطبون أعضاء هيئة التدريس ذكوراً وإناثاً:

"لأسباب اجتماعية معروفة داخل المجتمع، يكون عليهم/هن استخدام لقب مع اسمنا في أثناء المخاطبة، فيستخدمون اللقب وحده، أو قبل الاسم.

واللقب الذي نعاني منه هو "مس" (Miss)، بصرف النظر عن درجتنا العلمية، وعن كوننا متزوجات، أو غير متزوجات. ونلْحظ أنّ الطلاب يخاطبون زملاءنا الرجال بلقب دكتور (Dr.) أو أستاذ (Professor) بتلقائية وبساطة.

ونشرح للطلاب عدم راحتنا – نحن الأكاديميات – للتعريف علينا من خلال الحالة الاجتماعية فقط، ففي السياق الأكاديمي، يتعيّن التعريف بنا من خلال هُويتنا الأكاديمية وإنجازنا العلمي"[1].

إنّ سبب هذه الرؤية الراتبة للجنسين يكمن في الأنماط الثقافية السائدة، فيتناغم منح اللقب للذكر والأنثى مع الحالة الثقافية داخل المجتمع، لذا يكون منح اللقب تحديداً لدور الإنسان في مناشط الحياة، وإبرازاً للدور الثقافي الذي يقوم به.

السلوك اللغوي غير اللفظي للجنسين:

اللغة ليست نظاماً من العلامات وحسْب –وَفْقَ تعريف سوسير– ، أو ضرباً من السلوك كما رأى بلومفيلد، فهناك أنظمة سلوكية غير لغوية Non-Verbal Behaviour تُزامِل الأداء اللغوي وتحظى بدور الدعم والمساندة للأداء، نحو: التعبير الجسمي، والتقارب، واللمس ...

[1] إيمان أبو غزالة: الإدماج، اللغة والمرأة، ص4.

وتتضافر هذه المكونات في تحقيق التواصل بين أفراد المجتمع، ويتفاوت هؤلاء في استخدام هذا السلوك، فيكثر بعض الأفراد من الحركات والإيماءات في أثناء حديثه؛ لما تنطوي عليه من دلالات داعمة للغة، بل ربما كانت في بعض المواقف بديلاً من السلوك اللغوي.

"رُوِيَ عن عمر بن الخطاب أنه جاء ابنته حفصة ليسألها عن أمر حزَبَه، فقال: إني أسألك عن أمر أهمَّني، فأفرجيه عني: في كم تشتاق المرأة إلى زوجها؟ فخفضت رأسها واستحيت، فقال: فإنَّ الله لا يستحي من الحق، فأشارت بيدها ثلاثة أشهر، وإلا فأربعة أشهر، فكتب عمر أن لا تحبس الجيوش فوق أربعة أشهر"[1].

وقد فطن الجاحظ إلى دور الإشارات الجسمية في تعضيد الكلام بقوله:

"والإشارة واللفظ شريكان، ونِعْمَ العون هي له، ونِعْمَ الترجمان، هي عنه، وما أكثر ما تنوب هي عنه، وفي الإشارة بالطَّرْف والحاجب وغير ذلك من الجوارح مرفق كبير، ومعونة حاضرة، في أمور يسترها بعض الناس من بعض، ويخفونها من الجليس وغير الجليس، ولولا الإشارة لم يتفاهم الناس معنى خاص الخاص، ولجهلوا هذا البتة"[2].

وفي بعض الحالات يكون الكلام محظوراً، فيلجأ الأفراد إلى لغة للتواصل عَبْرَ الإشارة "ففي أُستراليا لا يُسْمَح للأرملة التي دفنت زوجها حديثاً باستعمال الكلمات، وكما لا يُسْمَح الشيء نفسه للشباب المقبلين على مرحلة الرجولة ....، وحتى الأمم المتحضِّرة لم تنفض عن نفسها مثل هذه المحرَّمات

---

[1] ابن حسام الدين الهندي: كنز العمال، 5/16.

[2] الجاحظ: البيان والتبيين، 1/78.

الكلامية. يُذكَرُ أنَّ بعض القسس المسيحيين لم ينْبسوا ببنت شفة لسنوات عديدة، فتحدثوا بلغة الإشارة؛ "لأنَّ الكلمة المنطوقة كانت خطيئة"[1].

ويُلحَظ أنَّ المرأة أكثر استخداماً للإشارات غير الكلامية، وهي أعمق فهماً لكُنْه مراميها، وتوظيفها في الموقف اللغوي.

جاء في رسائل ابن حزم: "ما رأيتُ قطُّ امرأة في مكان تحسّ أنَّ رجلاً يراها أو يسمع حِسَّها إلا وأحدثت حركة فاضلة كانت بمعْزِل، وأتت بكلام زائد هي عنه في غنية"[2].

فالمرأة تميل إلى المفاتيح غير الكلامية، كحركات الوجه والجسم؛ لإشاعة التوافق والتناغم في خطابها، وبالتالي الوصول إلى التأثير والتضامن.

- تضرب المرأة بكفها على صدرها إذا تعرضت لحدث فيه إنكار أو استغراب، وإذا كان الحدث أكثر دهشة وارتباطاً بها فإنها تَصُكُّ وجهها عِوَضاً عن السلوك اللفظي، أو مساندة له، وقد حفظ تراثنا بعض هذه الإشارات، من ذلك قول الشاعر:

تقولُ وقد دَقَّتْ صَدْرَها بيمينها ... أبعليَ هذا بالرحى المُتَقَاعِسِ[3]

- تبتسم الإناث أكثر من الذكور -غالباً-، وهنَّ لا يفتحن أفواههن على نحو ما يفعل الذكور، بل يضعن أصابعهن على شفاههن حياء، ويضحكن دون قهقهة؛ لأنَّ المجتمع يَعُدُّ ضحك المرأة في بعض المواقف من سوء الأدب، لذا يتعيَّن على الأنثى أن تكتفي بالابتسام.

---

[1] كوندرا توف: أصوات وإشارات: ت. شوقي يوحنا، ص12-ص13.

[2] ابن حزم: رسائل ابن حزم، ت إحسان عباس، ص271.

[3] ابن جني: الخصائص 246/1.

- تُعبِّر المرأة عن موقف الحَيْرَة أو التوتر بوضع أنملها على أسنانها الأمامية مع إبقاء الفم مفتوحاً، أما الرجل فيعبِّر عن ذلك بحكّ الرأس أو الذقن أو الجبهة.
- يُعبِّر الرجل بهزّ كتفيه عن الرفض، وقد تشير بهما المرأة تدلُّلاً.
- النساء يُملنَ رؤوسهن للتعبير عن الحياء أو الخضوع، وهُنَّ أكثر تنويعاً في مِشيَتِهن. فحالة الدعة والسكينة تقتضي مشياً معتدلاً، والأمر الجلل يتطلب مشياً سريعاً، أما المشي البطيء مع إصدار حركات أو إطالة النظر فيما حَولَهُن فإنه يلمح إلى دلالة إغرائية، أو لفت الأنظار.

فسَّر أبو حيان الآية (ولا يضربن بأرجلهن ليعلم ما يخفين من زينتهن) النور 31 بقوله: " كانت المرأة تضرب الأرض برجلها ليقعقع خلخالها فيعلم أنها ذات خلخال. وسماع صوت هذه الزينة أشد تحريكاً للشهوة من إبدائها"[1].

- الإناث يُمعِنَّ في بعضهن أكثر مما يفعل الذكور، الذين يفضلون تكْرار النظر على إطالته. ويُلْحَظ في اللقاءات العامة أنَّ المرأة تنظر إلى زوجها أكثر مما ينظر إليها.
- للمرأة قدرة على توظيف لغة العيون، فلديها مهارة في بث رسائلها من خلال نوافذ الروح (العيون)، لذا قيل "رُبَّ لَحْظٍ أنمُّ من لفظ".
- يميل الرجل إلى رفع الكف صَوْبَ الرأس لإلقاء التحية، فيما تميل المرأة إلى هزّ الرأس للتعبير عن الموقف أو الاستجابة له.
- المرأة تقترب من المنطقة الشخصية لجليستها، وهي أكثر ملامسة لها، ولعل ذلك يوحي إلى التَوَحُّد والمودة، فثمة صلة بين الاقتراب واللمس.

[1] أبو حيان الأندلسي: البحر المحيط، 249/6.

أما الرجل فيفضل إبقاء مسافة بينه وبين محدّثه (وهي المنطقة الآمنة)، وقلما يوظّف اللّمْس في عملية التواصل والانسجام.

يرى آلن بيز (Allen Yair) "أنّ قفل القدم محصور بالنساء، إنّ أعلى رجل تُقفل الرِّجْل الأخرى لتعزيز موقف دفاعي، وحين تظهر هذه الإيماءة يمكنك أنّ تتأكد أنّ تلك المرأة قد أصبحت منعزلة أو أنها انسلّت مثل السلحفاة إلى صدفتها.

إنّ هذا الوضع شائع بين النساء الخجولات أو اللواتي يشعرن بالجبن"[1].

أرى أنّ المرأة تَصدُر في صنيعها هذا عن تَطبُّع اجتماعي وجّهها إلى المحافظة والالتزام وعدم الابتذال، فالبنت تُربّى منذ الصغر على ضم قدميها، وعدم الاندفاع كالأولاد؛ لأنّ ذلك في عُرْف الثقافة عيب.

قاربت الكاتبة (مي جبران) هذه الحالة بقولها:

" تُربّى البنت على كبح الجسد (اقعدي منيح، وطّي التنورة، ما تلعبي مثل الصبيان، وطّي صوتك، اسمعي الكلمة، لا تقولي كلاماً بذيئاً ...) فهي تربية العيب، فيما يُربّى الصبي بارتياح أكثر (معليش هو صبي، اتركيه يقعد مثل ما يشاء) تُربّى البنت باللا، وهو بالنعم... "[2].

- تُعبّر المرأة عن حركات وجهها بصورة أعمق دلالة، لتحقيق الصداقة والفرح وبثّ الهدوء في نفس المستمع.

لاحظتْ (هنيلي) "أنّ النساء لديهن القدرة على قراءة الإشارات غير الشفوية سواء كانت صادرة عن ذكر أو أنثى، وربما يعود السبب إلى أنّ

---

[1] آلن بيز: لغة الجسد، ت. سمير شيخاني، ص83.

[2] مي جبران: الشخصية الأنثوية، مجلة مواقف، ع 73-74، 1994م، ص143.

السلوك غير الشفوي يَحْظَى بدور مهم في حياة النساء، فهنّ أكثر حساسية للتلميحات غير الشفوية من الرجال"[1].

وقد قام علماء في جامعة نيويورك ستيت (New York State) في الولايات المتحدة بإجراء تجارب على سبعة عشر ولداً وثماني عشرة بنتاً "وانتهت الدراسة إلى أنّ الفتيات يَمْلكن مقدرة التعرف على أدق التغيرات التي تطرأ على الوجه أكثر من الأولاد" [2].

ولعل هذا الفَيْض من السلوك غير اللفظي لدى المرأة يرجع إلى طبيعة التركيبة الاجتماعية التي فَرَضت على المرأة نسقاً محدداً، ودوراً ثابتاً من المفترض الالتزام به، لذا تلجأ المرأة إلى السلوك غير اللفظي؛ لبناء عالم رمزي تمارس فيه البوح عَبْرَ جسدها ما دام بعض الكلام محظوراً.

"فاللغة بالحركة يمكن أن يكون لها أصل نفعي، ومع ذلك فكون استعمالها عند الشعوب المتوحشة من شأن النساء على وجه الخصوص يوحي بتفسير آخر. ذلك أنّ السبب الذي يدعو عادة إلى التفريق في اللغة بين الجنسين يكون سبباً دينياً، فلما كانت الكلمات التي يستعملها الرجال محظورة على النساء، فقد وجب على هؤلاء أنْ يستعملن مفردات خاصة يخلقنها بأنفسهن حتى لو اضطررن عند الحاجة إلى إحلال الحركة محل الصوت.

وهكذا يمكن أن يفسر استبقاء لغة الإشارة بالإلزام الناشئ عن النواهي"[3].

---

[1] The Female World, p 385.

[2] صحيفة الرأي الأردنية، 2001/7/21م، ص24.

[3] فندريس: اللغة، ص 33.

لا يقتصر توظيف المرأة السلوك غير اللفظي على المحظورات والنواهي، فهي تلجأ إليه في سلوكها اللفظي أيضاً؛ لإسباغ غلالة من التأثير والتواصل على حديثها.

** ** **

نَخلُص من عرض الخصائص اللغوية للجنسين إلى أنّ السلوك الاجتماعي والسلوك اللغوي في حالة تفاعل دائم، فاللغة في جوهرها متأصلة في حقيقة الثقافة، ونُظُم الحياة والعادات عند كل جماعة، ولا يمكن إيضاح اللغة إلا بالرجوع إلى المحيط الأوسع وهو الظروف التي يتخلّق فيها الكلام.

إنّ اتساع الشُقّة في الخصائص اللغوية المميِّزة للجنسين تتناسب تناسباً طردياً مع التواصل القائم بين الجنسين، فكلما شاركت المرأة الرجُل في صوغ الحياة وبناء المجتمع الرحب قلّت الاختلافات بين الذكر والأنثى، وكلما زاد انعزال المرأة عن الرجل اتسعت الفروقات اللغوية للجنسين. ويُلحظ ذلك في لغة ربات البيوت ولغة النساء اللواتي يشاركن الرجل في العمل الوظيفي، إذ تكتنف لغة ربّات البيوت استعمالات مباينة إلى حدٍّ ما للغة النساء العاملات. فاللغة منظومة أودعها مراس الكلام في الجمهور، وتتأثر بالمحيط الاجتماعي للأفراد والجماعات.

وعلى الرغم من تقريرنا أنّ ثمة خصائص لغوية مائزة للجنسين، إلا أنّ هذه التنوعات اللغوية لا تعدو أن تكون ضرْباً من الأساليب والتلوينات التي تتخلل لغة فئة من الناس أو طبقة منهم، فلا تُقيم هذه التنوعات اللغوية قطيعة بينها وبين اللغة الجامعة التي تَميز لغة المجتمع من غيره.

الخاتمـــــة:

صدرتْ هذه الدرسة عن وُجْهَة ترى أنّ اللغة ظاهرة اجتماعية تتوافر فيها خصائص الظواهر الاجتماعية، وهي تدخل في علاقة جدلية مع غيرها على وجه الاستمرار، إذ إنّها نَسَق يشترك في اتّباعها أفراد المجتمع، وبها يتواصلون؛ لتحقيق غائيّة الاجتماع البشري.

ومستصفى ما خَلَصتْ إليه الدراسة من أنظار:

- أنّ الصلة بين اللغة والمجتمع متناظمة، ففي أحضان المجتمع تخلّقت اللغة، وهي فَطرْتهم للتواصل فيما بينهم، وتتجاوز وظيفة التفكير المجرّد، والتعبير عما يختلج في أقطار النفس، لتشمل استجابة المتلقّين لها.
- احتفى اللغويون العرب بالسياق الذي تُستَعمل فيه اللغة، واستشعروا الوُجهة الاجتماعية في معاينتهم للظاهرة اللغوية، وإنْ لم يصرّحوا بها تصريح اللسانيات الاجتماعية.
- استدركت اللسانيات الاجتماعية على علم اللغة الحديث إهماله للعوامل الخارجية التي تؤثّر في استعمالنا للغة، وكان يتعيّن أنْ تُدْرَس المعطيات الاجتماعية للغة ضمن علم اللغة العام، لا أنْ يُفرد لها علم مستقل.
- إنّ استجلاء ماهية السلوك اللغوي لا يكون إلا بالعَوْد إلى المحيط الأوسع للظروف التي يتم فيها الفعل الكلامي، إذ يتأثر هذا السلوك

بطبيعة المتكلم، وطبقته الاجتماعية، وجنسه، وطبيعة الموقف الذي يتكلم فيه، وشخصية السامع، وتكوينه الثقافي. إلى غير ذلك من معطيات تُسْهِم في شكل السلوك المُنْجَز.

- أطبقتْ الدراسة على أنّ الاختلاف بين الجنسين مَبْعَثُه قيم المجتمع ومسطورات الثقافة. وليس العوامل الفسيولوجية والبيولوجية، ويَعْضُدُ ذلك ما أُجري من بحوث ودراسات في السلوك اللغوي والاجتماعي للجنسين.
- لم ينتظم تصنيف الجنس في العربية منطق عقلي، ولا سيما الجنس المجازي، فليس ثمة قرينة بين الجنس الطبيعي والجنس النحوي، ولعل هذا ما أشكل على الباحثين لالتماس علة مطّردة في التصنيف.

ويتراءى لي أنّ اللغويين حين صنّفوا الأشياء كان هاجسهم ضبط اللغة واطرادها، لا أن يفضلوا جنساً على آخر، ولو أنّهم أفردوا للمجازي من الأسماء قسماً ثالثاً لتخلّصت الظاهرة من مُشْتَجِر الخلاف.

- ينبغي ألاّ نخلط بين العربية بوصفها ظاهرة، والنظرية التي تحاول استخلاص قوانين تلك الظاهرة، فإذا كان هناك تحيّز في بعض التعيّنات اللغوية فمردّ ذلك إلى الثقافة وقيم المجتمع.
- إنّ اتساع الهُوّة في الخصائص اللغوية المائزة للجنسين يتناسب تناسباً طردياً مع التواصل والمشاركة، فكلما حضرت المرأة في المشهد الحياتي إلى جانب الرجـل قلّت الاختلافات اللغوية بينهما، وكلما تقوقعَتْ في حراسة الهيكل المنزلي، وتوارت عن الشهود زادت الاختلافات بين الجنسين وتعمّقت.

- على الرغم من إقرارنا بالخصائص اللغوية للجنسين، إلا أنّ هذه التنوعات لا تعدو أن تكون ضرباً من الأساليب والتلوينات التي تتخلل لغة فئة من الناس، أو طبقة منهم.
- تقتضي الزمالة المفترَضة بين الجنسين، تعديل القيم الثقافية والاجتماعية ليرقُل الجنسان بالمساواة، ويفضي ذلك إلى تغيُّر التمثُّلات اللغوية، فهذه التحقُّقات مرهونة بموروثات الثقافة التي انحازت للذكورة. وليس للغة نصيب من التحيّز، فاللغة في جبِلّتها محايدة، وهي تملك طاقات كامنة لتنفي عن نفسها الانحياز، لكنَّ ذلك مشروط بمن يستعمل الخطاب.

الملاحق

تقاسُم الصفات المحمودة والمذمومة بين الجنسين

مُلحق بالصفات المحمودة والمذمومة للجنسين استُلّت مادته من جملة من معجمات المعاني.

صفات سلبية ملحقة بالمرأة:

الصفة	المفردة	
• الحُمق	امرأة رَقاع	حمقاء
	خذعل	حمقاء
	دفشن	حمقاء
	دنفس	حمقاء
	لَكاع	الحمقاء الدنيئة... ينظر: الأصمعي: ما اختلفت ألفاظه واتفقت معانيه، ص3.
	ورْهاء	
	دَعقاء	حمقاء
	جمْعاء	• تقال للتي أنكر عقلها ولا يقال للرَّجُل
	ثأطاء	حمقاء
	لكعاء	
	عَوكل	حمقاء
	بلعَوس	حمقاء
	خَزَنْبَل	حمقاء – المخصص 61/16، 151/16، 165/16، 169/16
• الفُجور	امرأة جلعة	فاحشة
	مَجعَة	التي تكلّم بالفحش
	بذيئة	ما اختلفت ألفاظه واتفقت معانيه، ص45.
	السَّلفع	الجريئة البذيئة

	العنفص	البذيئة
	الجلأعة	التي تكلمّ بالفحش
	المجّاعة	تتكلم بالفحش
	الترِعة	الفاحشة الخفيفة ابن السكيت. كتاب الألفاظ، ص244.
	طلَعة	المرأة الفاحشة
	قبُعة	بذيئة
	قرُور	لا تردّ يد لامس، وتقرّ لما يصنع بها
	مومسة	
	بغيّ	
	مُسافحة	
	معقلص	بلغت في السوء غايته
	زبعبَق	إذا كانت نهاية في سوء الخلُق. فقه اللغة، ص170
	عاهر	
	مُجالع	خلعت خمارها تبرُّجاً
	هَجُول	بغيّ
	هلُوك	بغيّ
	صنّبُع	
	علجَن	ماجنة
	رعْبل	متساقطة
	عنفص	الداعرة الخبيثة

	خَرِبٍ	فاجرة
	خريعة	
	قَرِثَع	قليلة الحياء
	زِير	تُلازم الرجال
	سافر	
	فرنتى	اسم للفاجرة
	خَطّالة	ذات الريبة والفحش
	وَقاح	صلبة الوجه
	قذع	
	هِنبُع	الفاجرة تظهر سرها لكل واحد. المخصص. 124/16، 134، 142، 161 167
	حُنْظُوب	رديئة الخُبْز
	الثَّلْجَة	
	فحّاشة	– القاموس المحيط "ثلج"، "فحش" فحاش
صفات خُلقية وسلوكية مذمومة		
	نَشُوص	لا تطيع زوجها – ما اختلفت ألفاظه ... ص49.
	هأهأة	ضحّاكة المخصص 14/16
	وزْهاء	

	هَنباء	فيها طيش المخصص 16/16
	مِهزَاق	كثيرة الضحك
	مِنقاص	كثيرة الضحك
	مِكْثير	كثيرة الكلام
	ظَلُوم	ظالمة المخصص 16/ 135 137
	عَلُوق	لا تحب زوجها
	رَؤود	تدخل بيوت الجيران المخصص 142/16
	ذَعُور	تذعر من كل شيء
	بِظْرِير	طويلة اللسان صخابة المخصص 168/16
	جَماد	مُمْسِكة
	رَوَاد	طوّافة في بيوت جاراتها
	عفير	لا تهدي لأحد شيئاً
	فُرُج	لا تكتم سراً
	جَيْحل	غليظة الخُلُق
	فَيْلَق	داهية صخَابة
	حَنبَش	كثيرة الحركة
	جَحْمَرِش	سَمِجَة مكروهة
	خنبْق	رَعْناء

	ضَمْزر	غليظة
	خلوب	خداعة المخصص 142/16
	صَيْصلق	صخّابة المخصص 169/16
	شنْقليق	
	عَنقفير	غالبة بالشر سليطة
	عَيْهل	لا تستقر نزقاً
	عيهلة	
	سلقّانة	إذا زادت سلاطتها فقه اللغة 169
	عنقانة	السيئة الخلُق
	صذُوف	* ينظر القاموس المحيط في جذور المفردات
صفات جسدية مذمومـــــــة	لخناء	منتنة الريح
	مَصْواء	لم يكن على فخديها لحم
	قيْعلة	إذا كانت نهاية في السمن والعظم
	عَرَكْرَكة	إذا كانت كثيرة مضطربة الخلْق
	عضكة	مضطربة الخلْق
	رَسْحاء	قبيحة
	جذّاء	صغيرة الثديين

	قفرة	قليلة اللحم.
	جأنبة	غليظة الخلق
	منشاء	لم يكن على ذراعيها لحم
	زلاء	لم تكن لها عجيزة
	طرطبة	طويلة الثديين مسترخيتهما
	قنبصة	قصيرة ذميمة
	مفاضة	ضخمة البطن * ينظر. فقه اللغة ص169
	خنواء	سمينة المخصص 53/16 – 161
	عكباء	غليظة الخلق
	خساء	قبيحة الوجه
	خوثاء	مسترخية
	سوآء	قبيحة
	ثعلاء	لها أسنان زائدة
	بوصاء	عظيمة العجز
	قنعاء	قبيحة المشية
	قدشاء	لا لحم على يديها
	وجناء	العظيمة الوجنات
	نكوع	قصيرة
	دروم	قصيرة، سيئة المشي
	خفوت	لا تكد تبين من الهزال

دسوس	بها عيب في جسدها
ذميم	مذمومة
نصَف	مُسنة
فرُث	خبيثة النفس
خُنُبُج	مُكتنزة ضخمة
خنطير	مسترخية الجفون ولحم الوجه
ضمْعَج	ضخمة البطن مسترخية اللحم
دلْظم	فانية
علْكد	قصيرة
جلْبح	دميمة
خجرط، هلْدم، ودلْقم	هرمة
هرمل	فيها هوج واسترخاء
قرضم	ضخمة ثقيلة
فرشاح	كبيرة سمجة
مُهبلس	ضخمة
هرشَف	عجوز كبيرة
هرشفة	
جُنْدُخ	قصيرة
بُهتر	قصيرة
بُهترة	ينظر. المخصص 16/162 – 169، 183
شوهاء	قبيحة غير منسوقة

	مقّاء خرثّاء	طويلة مع دقة في البدن ضخمة الخاصرين
	عشّة	دقيقة عظام اليدين والرجلين عشّ
	عُكْبُرَة	جافية الخلْقة
	ضَهْيَاء	لم تنم أعضاؤها التناسلية
	حَضُون	أحد ثدييها أكبر من الآخر
	مُتخرْخِرَة	هزلت بعد سمن
	فَوْهاء	واسعة الفم
	سَوَل	مسترخية أسفل البطن ينظر: القاموس المحيط
صفات نفســية وخُلُقية محمودة		
	عَرُوب	متحبِّبة لزوجها كتاب الألفاظ 238
	عاشق	مُحِبَّة لزوجها
	حَاجِن	حَصَان المخصص 122/16 126
	طَاهِرة	نقية
	بَاهِل	لا تمنع زوجها مالها
	خرود، خريد	حيية المخصص 142/16
	ظَنُون	لها شرف تتزوّج طمعاً في ولدها. كتاب الألفاظ ص238

	تقال، التّقال	رزان
	خليق	حسنة الخلُق
	عَطِيف	ذلول مطواع المخصص 157/16
	ستير	حيية المخصص 158/16
	مِذْعان	مطواع، منقادة القاموس المحيط
	نَوار	المتحفظة التي تنفر من الريبة
	رَزَان	رزينة في مجلسها
	خَفِرَة	صبيّة فقه اللغة 167
	رخيمة	منخفضة الصوت
	بَرْزَة	جليلة تظهر للناس فقه اللغة 168
	معطَاء	من العطيّة
	مِهْدَاء	من الهديّة
	مقصُورة	مصونة، محجوبة
	اللَّبِقَة، اللبيقة	الظريفة ينظر: القاموس المحيط
	معناج	المخصص 135/16
	صنَاع	صانعة 151/16

	مِرفال	تَجُرُّ ثوبها ثقة 135/6
	زائن	مُتَجمِّلة، متزيّنة
	طَرُوح	تطرح ثوبها ثقة 142/6
صفات جسدية محمودة	الخَبَنْدى	الناعمة. التارّة البدن المخصص 7/16
	مِبْهاج	بيّنة البهجة المخصص 35/16
	بَضَاض	كثيرة اللحم المخصص 151/16
	فَرِيع	ناعمة 157/16
	بَحْت	خالصة البياض
	فَنْق	عظيمة حسناء. ينظر. المخصص162/16-170
	عَيْلَم	حسناء
	عَيْطَل	طويلة العنق في حسن
	شِرواط	طويلة متشذبة
	أُمْلُود	ناعمة
	عُطْمُوس	تارّة ذات قوام
	شُغْمُوم	تامة حسنة
	رُعبوب	تارّة، وقيل بيضاء حسنة

	خَنْضَرِف	كبيرة الثديين
	خليق وخليقة	تامة معتدلة
	بهيّة	بيّنة البهاء ينظر: القاموس المحيط
	رُوقة	ذات جمال رائق
	ممشوقة	حسنة القوام
	السّرْعوف	الطويلة
	السّلْهبة	الطويلة الجميلة
	سُرْحوبة	الطويلة الحسنة الخَلْق
	فرّاء، غرّاء	حسنة الثغر
	قيْنانة	ذات شعر طويل
	الرّخْصة	الناعمة
	لها رُؤاء	الحسنة
	الغادة	البينة الغَيَد ، الناعمة اللينة
	عَنْهرة	رقيقة البشرة
	الزّهْراء	المشرقة الوجه
	المُخدّجة	الممتلئة الناعمة، الحسنة الخَلْق
	الخَوْد	الشابة الرَخْصة
	الرّئدة	الشابة الحسنة
	أُمْلود	بيّنة الشباب تهتز في مشيتها

	ناضرة ونضرة ونضيرة	بيِّنة الحُسن مع النعمة
	سرْعَبَة	طويلة، حسنة الجسم
	شنباء	بينة الشنب، وهوماء ورقة تجري على الثغر
	الماريّة	البيضاء
	الهَركِلة، والهِرْكَلة، والهُركُولة	الحسنة الجسم والمشية
	تَخْضَانة	طيبة النَفَس والريح
	الهَبْرَكة	الناعمة التامة
	خلاّقة	حسن خَلْقها
	رَوقاء	ذات جمال رائق
	الدَمْخَلَة	الحسنة الخَلق
	الشِناط	الحسنة اللحم واللون
	البَيْهس	الحسنة المِشْيَة
	البَهْنَكة	ناعمة الجسم اللينة
	تَميمَة	تامة الخلق وثيقة
	رَبِيلَة	سمينة
	رَتَجَلَة	سمينة منعَّمة
	الوَهْنَانة	اللينة، لينة الجسم ناعمته
	البَرْهَرَة	الناعمة، كثيرة اللحم
	أثاثة	الطويلة

	شَغْفَر	حسنة الخلق
	السراح	الحسنة المشية
	ممكورة	دقيقة المحاسن
	خَرْعبة	حسنة القد، لينة القصب
	قباء، خمصانة، هَيْفاء	لطيفة البطن
	هَضيم	لطيفة الكشحين
	عُطْبُول	طويلة العنق
	مَرْمَارَة	ترتج من سمنها
	عَبْرَة	عظيمة الخلق مع الجمال
	رَصُوف	إذا كانت طيبة الخلوة
	لفاء	ضاق ملتقى فخذيها لكثرة اللحم. ينظر فقه اللغة 166-167
	حسانة	جميلة الجسم * ينظر: ما اختلفت ألفاظه ... ص49

صفات مذمومة للرجل

الصفة	المفردة	
الحُمْق		
	حَطَنْطى	يُعيَّر به الرجل إذا نسب إلى الحمق
	عَبَاياء	الأحمق القَدِم
	الطَّبَاقاء	الأحمق
	طَبْجَة، ولَطْخَة	أحمق لا خير فيه
	بُوْهة	أحمق
	خَالفة	فيه حمق
	طَيَّاخة وفجَاعة	أحمق
	زُمَّيلة	أحمق ضعيف
	إمَّرة، وإمع	أحمق لا رأي له
	ضَوكَعة	أحمق كثير اللحم مع ثقل
	خَجَّاجة فقَاقة	أحمق
	هِلْبَاجة	أحمق مائق
	سَاقط	ناقص العقل
	أُمَنَة	يثق بكل واحد جهلاً
	لَفاة	* يُنظر. المخصص 16/170 – 176، 183.
	أبْلَه	إذا كان به أدنى حمق وأهونه

	أخرق	الحمق مع عدم الرفق
	أهوج	الحمق مع تسرع
	مأفون	لم يكن له رأي يرجع إليه
	يهفوف	من زاد حمقه
	خنفع، وهبنقع	اشتد حمقه
	عفيك لفيك	إذا كان مشبعاً حمقاً يُنظر: فقه اللغة ص155- 156.
الفجور		
	دُعَرَة	
	جوّاظة	
	طفانية	
	عاهر	
	نطف	
	فاحش، فحّاش	يُنظر: القاموس المحيط
الجُبْن		
	نَأْنأ، ونَأْنَأة	ضعيف، عاجز، جبان
	هَوْهاء	جبان
	فَرُوقة	
	كَيِّئة، وكَيء	جبان
	فَرُورة	
	نَفْرِجة	ينكشف عن الحرب

	زُمّيْل وزُمّيلة	ضعيف رِخو جبان
	رَنْل وهردب وهِرْدَبَّة	ضخم جبان
	فرُوق وفارُوق وفارُوقة	يَفْرَق من كل شيء المخصص16/18، 72، 139، 170، 176
	جبان	
	فَشِل	في نهاية الجبن
	هِل	ضعيف القلب
	هيَّاب	
	رِعديد	جبان
	خوّار	
	خَرِع	
	منخوب	مخلوع القلب ينظر: إبراهيم اليازجي: المترادف والمتوارد. 85/1
البخل		
	حِلِّز	إذا كان في نهاية البخل
	لَحِز	شديد البخل فقه اللغة 161
	شحيح	إذا كان مع شدة بخله حريصاً
	لئيم	

	ضَنين	
	جَعْد	إذا كان شديد الإمساك لماله
	مُسْكَة	
	ضَيّق	
	كَزّ	مُمْسك
	حَصُور	المترادف والمتوارد 81/1
صفات مذمومة أخرى	وَعقَة لَعقَة	عسير الخُلق
	عزْنَة	لا يُطاق
	نُوْمَة	خامل
	رَهَكَة	لا خير فيه
	حُوَلة	محتال
	هُزَأة	يهزأ بالناس
	سُخرة	يسخر بهم
	خُذَلة	يخذلهم
	كُذَبة	يكذبهم
	ضُجعة	كثير الاضطجاع
	غضبَة	سريع الغضب
	مُزَقة	ضيق الرأي
	صخابة	شديد الصَخب
	فزّاعة	يفزع الناس كثيرا
	أكّالة	كثير الأكل

	لُقاعة	كثير الكلام، متداه
	فانورة	يبرم بالناس يُنظر: المخصص 16/170-174
	تِبْذارة	يبذر ماله ويفسده
	مِسبّة	كثير السبّ
	هِيْذارة بِيْذارة	كثير الكلام
	علاقية	شديد الطلب
	قُعَدِيَة	كثير القعود
	ضُجَيعة	كثير الاضجاع
	جِنْعاظة	يتسخط عند الطعام من سوء خلقه المخصص 16/174-177
	سِنْدأوة وقِنْدأوة	خفيف القاموس المحيط: الجذور الآنفة
	بِلْدامة	وَخِم
	ضِرْسامة	رخو لئيم
	زِمحن وزِمْحَنة	سيء الخُلُق
	عَوَق عُوَقة	ذو تعويق المخصص 16/174-186
	نَطيش	إذا لم يكن له قوة بالأمر
	حبَنض	ليس له رأي
	بُدْم	لم يكن له قوة بالأمر

	فنم	لم يكن له قوة بالأمر
	ووخد	القليل المنفعة
	هلبّاجة	ينظر: ما اختلفت ألفاظه واتفقت معانيه ص50 - ص67
صفات جسدية مذمومة	رجل قِقّة	صغير الجثة قليل *المخصص 170/16
	جَنْمة	قصير 171/16
	دنّامة ودنّابة	قصير 173/16
	جَيْدَرة	قصير 175/16
	دحْوَنة	سمين مندلق البطن قصير 175/16
	درْحاية	كثير اللحم – قصير لئيم الخِلْقة 175/16
	جِعْظاية	قصير لحيم 175/16
	حَزَابِية	غليظ إلى القصر 175/16
	بلْدامة	وخم 176/16
	جحنبارَة	قصير 176/16
	تِنْبال	قصير

	تنبالة	
	دحداحة	قصير المخصص 182/16
	دنبة	قصير
	خزق	قصير
	جنم	قصير
	جنمة	
	جعظار	
	جعظارة	
	أصعل	صغير الرأس فقه اللغة 156
	سمعمع	صغير الرأس
	أشدق	إذا كان فيه عوج فقه اللغة 156
	أكشم	ناقص الخلق
	أخفج	معوج القد
	أدن	منحني الظهر
	أحدب	خرج ظهره ودخل صدره فقه اللغة 156
	ألص	إذا كان مجتمع المنكبين يكادان يمسان أذنيه
	أجنأ، أدنأ	إذا كان في رقبته ومنكبيه انكباب إلى صدره
	أغن	إذا كان يتكلم من قبل خيشومه

إذا كان متباعد ما بين الفخذين والقدمين فقه اللغة 156	أفحج، أفج	
قبيح العرج فقه اللغة 156	أقزل	
قصير دميم ما اختلفت ألفاظه واتفقت معانيه ص34	دُعثُوب	
إذا كان قصيراً غليظاً	حيَقس	
إذا كان قصيراً غليظاً	كُلَكُل	
قصير غليظ ضخم البطن	كُلاكل	
إذا كان قصيراً	حفَيْتأ	
إذا كان قصيراً سميناً	حفَيْسَأ	
القصير السمين	بحْبَاح	
إذا كان قصيراً ثم اضطرب لحمه.	وَخْوَاح	
القصير الغليظ	جُعشُوش	
القصير الدميم ما اختلفت ألفاظه ... ص44	حنزقر	

صفات محمودة للرجل

وردت صفات كثيرة في كتب اللغة، أسوق جملة منها:

الصفة	المفردة	
السيادة	الخُلاحل	السيد الشجاع
	الهُمَام	السيّد البعيد الهمة
	القمقّام	السيد الجواد
	الغطْريف	السيّد الكريم
	الصِّنْديد	السيّد الشريف
	الأرْوَع	السيّد الذي له جسم وجهارة
	الكوْثر	السيّد الكثير الخير
		فقه اللغة 163-164
	البُهلُول	السيّد الحسن البِشْر
	عيْمَة	خِيار قومه
	نابخة	عظيم الشأن ضخم الأمر
	صُيَّابة	أي خيارهم
		المخصص 16/170-173
رجاحة العقل		
	طبنَة	عالم بكل شيء
	لوْذعي	جيد الحذاس
	ألمعيّ	إذا كان ذكياً موقداً مصيب الرأي
		فقه اللغة 164
	ذكيّ	

	فطِن	
	فهيم	
	زكن	فطن صادق الحدس المترادف والمتوارد 104/1
الشجاعة		
	صِمّة	شجاع
	بُهمَة	شجاع لا يُدْرى كيف يؤتى له
	واقعة	شجاع المخصص 16/174- 183
	مرافصة	شديد ضخم شجاع
	ضُبَارِم ضُبَارِمَة	الجريء على الأعداء
	حَمِس	
	صارم	
	نَجِيد	
	نَمِر	
	بئيس	
	مِقدام	
	بطل	
	فتاك	
	مصدام	المترادف والمتوارد 1/83-84
الكرم		
	كرامة	

	الغَيْذاق	الكريم الجواد فقه اللغة 164
	الأريحي	الذي يرتاح للندى
	الخضْرِم	الكثير العطية
	الأفق	بلغ النهارية في الكرم
	سَخِيّ	
	سَجْل	
	وهوب	
	بذول	
	فيّاح	
	معطاء	المترادف والمتوارد 1/77
صفات أخرى		
	كُوَصَة	صبور على الشراب وغيره
	رُوْمَة	طريف مُعْجب
	رجل تقولة	جيِّد القول
	تِكلامَة	جيِّد الكلام فصيح المخصص 16/170، 174
	فَكِه	طيب النفس ضحوك
	دَهْثَم	إذا كان سهلاً ليناً
	بزيع	إذا كان طريفاً كيِّساً
	عبقري	إذا كان حاذقاً
	زوْل	إذا كان حركاً طريفاً فقه اللغة 165

المصادر والمراجع

المصادر والمراجع

بالعربية

- القرآن الكريم.
- الكتاب المقدس.
- **أبو ريشة (زليخة)**: اللغة الغائبة، نحو لغة غير جنسوية، مركز دراسات المرأة، عمان، 1996م.
- **أبو زيد (محمود)**: اللغة في الثقافة والمجتمع، دار الكتاب. مصر (د. ت)
- **أبو زيد (نصر حامد)**: دوائر الخوف. قراءة في خطاب المرأة، المركز الثقافي العربي، الرباط، ط2، 2000م.
- **أبو غزالة (إلهام)**: الإبداع، اللغة، والمرأة، جامعة بيرزيت، بيرزيت، ط1، 1998م.
- **الأخفش (سعيد بن مسعدة)**: معاني القرآن، تحقيق: فائز فارس، ط2، 1981م.
- **الأصمعي (عبد الملك بن قريب)**: ما اختلفت ألفاظه واتفقت معانيه، تحقيق: ماجد حسن الذهبي، دار الفكر، دمشق، ط1، 1986م.
- **الأعرجي (نازك)**: صوت الأنثى، دار الأهالي، دمشق، ط1، 1997م.
- **الأنباري (أبو البركات)**: البلغة في الفرق بين المذكر والمؤنث، تحقيق: رمضان عبد التواب، دار الكتب، القاهرة، 1970م.

- **ابن الأنباري (أبو بكر محمد بن القاسم)**: الزاهر في معاني كلام الناس، تحقيق: حاتم الضامن، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ط1، 1989م.
- ـــــــــــــــ: المذكر والمؤنث، تحقيق: طارق الجنابي، مطبعة العاني، بغداد، 1978م.
- **أنيس (إبراهيم)**: الأصوات اللغوية، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ط5، 1979م.
- ـــــــــــــــ: دلالة الألفاظ، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ط7، 1992م.
- ـــــــــــــــ: من أسرار اللغة، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ط3، 1966م.
- **الباقلاني (محمد بن الطيب)**: إعجاز القرآن، تحقيق السيد أحمد صقر، دار المعارف، القاهرة، 1954م.
- **بشر (كمال)**: علم اللغة الاجتماعي، دار غريب، القاهرة، ط3، 1997م.
- **البطليوسي (ابن السيد)**: الحلل في إصلاح الخلل، تحقيق سعيد عبد الكريم سعودي، دار الرشيد، بغداد، 1980م.
- ـــــــــــــــ: شرح المختار من لزوميات أبي العلاء، تحقيق: حامد عبد المجيد.
- **البغدادي (عبد القادر بن عمر)**: خزانة الأدب، تحقيق عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط3، 1989م.

- **البكري (عبد الله بن عبد العزيز)**: فصل المقال في شرح كتاب الأمثال، تحقيق: إحسان عباس وعبد المجيد عابدين، دار الأمانة، ودار الفكر، بيروت، ط3، 1983م
- **ابن التستري (سعيد بن إبراهيم)**: المذكر والمؤنث، تحقيق أحمد عبد المجيد هريدي، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط3، 1983م.
- **أبو تمام (حبيب بن أوس)**: ديوان أبي تمام، بشرح الخطيب التبريزي، تحقيق محمد عبدة عزام، دار المعارف، القاهرة، 1964م.
- **التوحيدي (أبو حيان)**: الإمتاع والمؤانسة، صححه وضبطه: أحمد أمين وأحمد الزين، مكتبة الحياة، بيروت (د.ت).
- **الثعالبي (أبو منصور)**: فقه اللغة وسر العربية، تحقيق: مصطفى السقا وزملائه، دار الفكر، بيروت، (د.ت).
- **الجاحظ (عمرو بن بحر)**: البيان والتبيين، تحقيق: عبد السلام هارون، دار الجيل، بيروت، (د.ت).
- ـــــــــــــ: الحيوان، تحقيق: عبد السلام هارون، دار الجيل، بيروت، ط1، 1988م.
- ـــــــــــــ: رسائل الجاحظ، تحقيق: عبد السلام هارون، دار الجيل، بيروت، ط1، 1991م.
- **الجمحي (محمد بن سلام)**: طبقات فحول الشعراء، تحقيق محمود شاكر، دار المعارف، القاهرة، 1952م.
- **ابن جني (أبو الفتح)**: الخصائص، تحقيق محمد علي النجار، دار الشؤون الثقافية العامة، ط4، 1990م.

- **ابن جني (أبو الفتح)**: سر صناعة الإعراب، تحقيق: مصطفى السقا وآخرين، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، ط1، 1954م.
- ________: اللمع في العربية، تحقيق: حسين محمد أحمد شرف، عالم الكتب، بيروت، ط1، 1979م.
- **الجوهري (إسماعيل بن محمد)**: الصحاح في اللغة، تحقيق أحمد عبد الغفور عطار، دار الكتاب العربي، القاهرة، 1956م.
- **ابن حزم (علي بن أحمد الأندلسي)**: رسائل ابن حزم، تحقيق إحسان عباس، دار الثقافة. بيروت، 1985م.
- ________ : طوق الحمامة، مؤسسة ناصر للثقافة، بيروت، (د.ت)
- **حسان (تمام)**: مناهج البحث في اللغة، دار الثقافة، الدار البيضاء، 1986م.
- **حسن (عباس)**: النحو الوافي، دار المعارف، القاهرة، ط6،1976.
- **الحفني (عبد المنعم)**: الموسوعة النفسية والجنسية، مكتبة مدبولي، القاهرة، ط1، 1992م.
- **أبو حيان (أثير الدين محمد بن يوسف)**: البحر المحيط، نشرته بالأوفست مطبعة النصر الحديثة، الرياض، 1970م.
- **خرما (نايف)**: أضواء على الدراسات اللغوية المعاصرة، سلسلة عالم المعرفة، ع9، الكويت، 1978م.
- **خلف الله (محمد أحمد)**: الفن القصصي في القرآن الكريم، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ط4، 1972م.

- **الخولي (محمد علي):** معجم علم اللغة النظري، مكتبة لبنان، بيروت، 1981م.
- **ابن رشد (أبو محمد بن أحمد):** تلخيص الخطابة، تحقيق عبد الرحمن بدوي، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1960م.
- **الرويلي (ميجان)/سعد البازعي:** دليل الناقد الأدبي، المركز الثقافي العربي، الرباط، ط2، 2000م.
- **الزبيدي (أبو بكر):** الواضح في علم العربية، تحقيق عبد الكريم خليفة، منشورات الجامعة الأردنية، (د.ت).
- **الزبيدي (محمد مرتضى):** تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق عبد الستار أحمد فراج، مطبعة حكومة الكويت، 1965م.
- **الزجاج (إبراهيم بن السري):** ما ينصرف وما لا ينصرف، تحقيق: هدى محمود قراعة. نشر لجنة إحياء التراث الإسلامي، الجمهورية العربية المتحدة، ط1، 1971م.
- **الزجاجي (عبد الرحمن بن إسحق):** الجمل في النحو، تحقيق علي الحمد، مكتبة الرسالة، بيروت، ط4، 1988م.
- **الزمخشري (جار الله محمود بن عمر):** المستقصى في أمثال العرب، دار الكتب العلمية، بيروت،ط2، 1974م.
- ـــــــــــــــــ: المفصل في علم العربية، راجعه: محمد عز الدين السعيدي، دار إحياء العلوم، بيروت، ط1، 1990م.
- **زهير بن أبي سلمى (ديوان):** صنعة أبي العباس ثعلب، نسخة مصورة عن طبعة دار الكتب، 1944م.

- **زيادة (مي)**: الأعمال الكاملة، جمع وتحقيق: سلمى الكزبري، مؤسسة نوفل، بيروت، ط1، 1982م.
- **السجستاني (أبو حاتم سهل بن محمد)**: المذكر والمؤنث، تحقيق عزة حسن، دار الشرق العربي، بيروت، حلب، ط1، 1997م.
- **ابن السراج (أبو بكر)**: الأصول في النحو، تحقيق عبد الحسين الفتلي، مكتبة الرسالة، بيروت، ط1، 1985م.
- **السعداوي (نوال)**: الأنثى هي الأصل، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 1974م.
- **ابن السكيت (يعقوب بن اسحق)**: كتاب الألفاظ، تحقيق: فخر الدين قباوة، مكتبة لبنان، بيروت، ط1، 1998م.
- **ابن سلمة (المفضل)**: مختصر المذكر والمؤنث، تحقيق رمضان عبد التواب، دار الكتب، القاهرة، 1972م.
- **ابن سيده (علي بن إسماعيل)**: المخصص، دار إحياء التراث، بيروت (د. ت).
- **السيوطي (جلال الدين)**: الأشباه والنظائر، تحقيق عبد العال سالم مكرم، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1، 1985م.
- ــــــــــــ: **المزهر في علوم اللغة وأنواعها**، شرحه محمد جاد المولى وزملاؤه، دار الجيل، بيروت (د. ت).
- **الشوكاني (محمد بن علي)**: الفرائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة، تحقيق عبد الرحمن اليماني، دار الكتب العلمية، بيروت (د.ت).

- **الشوك (علي)**: جولة في أقاليم اللغة والأسطورة، دار المدى للثقافة، دمشق، ط1، 1994م.
- **الشيبي (محمد بن علي)**: تمثال الأمثال، تحقيق أسعد ذبيان، دار المسيرة، ط1، 1982م.
- **الصيمري (عبد الله بن علي)**: التبصرة والتذكرة، تحقيق فتحي علم الدين، دار إحياء التراث الإسلامي، مكة المكرمة، ط1، 1982م.
- **ابن طباطبا (محمد بن أحمد)**: عيار الشعر، تحقيق محمد زغلول سلام، منشأة المعارف، الإسكندرية، ط1، 1991م.
- **الطبري (محمد بن جرير)**: جامع البيان في أحكام القرآن، دار الفكر، بيروت، 1984م.
- **طرابيشي (جورج)**: رمزية المرأة في الرواية العربية، دار الطليعة، بيروت، ط2، 1985م.
- **ابن عبد ربه (أحمد بن محمد)**: العقد الفريد، تحقيق: أحمد أمين وإبراهيم الأبياري وعبد السلام هارون، دار الكتاب العربي، بيروت، ط1، 1983م.
- **عضيمة (محمد عبد الخالق)**: دراسات لأسلوب القرآن الكريم، دار الحديث، (د. ت).
- **عفيفي (عبد الفتاح)**: علم الاجتماع اللغوي، دار الفكر العربي، القاهرة، 1986م.
- **العلوي (هادي)**: فصول في المرأة، دار الكنوز الأدبية، بيروت، ط 1، 1996م.

- **عمايرة، (إسماعيل)**: ظاهرة التأنيث بين اللغة العربية واللغات السامية، مركز الكتاب العلمي، عمّان، 1986م.
- **عمر (أحمد مختار)**: اللغة واختلاف الجنسين، عالم الكتب، القاهرة، ط1، 1996م.
- **عبد الله الغذّامي**: تأنيث القصيدة والقارئ المختلف، المركز الثقافي العربي، الرباط، ط1، 1999م.
- ______________: ثقافة الوهم، المركز الثقافي، الرباط، ط1، 1998م.
- ______________: المرأة واللغة، المركز الثقافي العربي، الرباط، ط1، 1996م.
- **الفراء (يحيى بن زياد)**: المذكر والمؤنث، تحقيق: رمضان عبد التواب، دار التراث، القاهرة، ط1، 1975م.
- **الفراهيدي (الخليل بن أحمد)**: العين، تحقيق: عبد الله درويش، مطبعة العاني، بغداد (د. ت).
- **الفيروزابادي (مجد الدين محمد بن يعقوب)**: القاموس المحيط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1، 1980م.
- **ابن قتيبة (عبد الله بن مسلم)**: عيون الأخبار، شرحه يوسف طويل، دار الكتب العلمية، بيروت، (د.ت).
- **القرطبي (محمد بن أحمد)**: الجامع لأحكام القرآن، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1952م.

- **القفطي (علي بن يوسف)**: إنباه الرواة على أنباه النحاة، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي، القاهرة، ط1، 1981م.
- **ابن كثير (أبو الفداء الدمشقي)**: تفسير القرآن العظيم، دار الأندلس، بيروت، ط1، 1966م.
- **لطفي (مصطفى)**: اللغة في إطارها الاجتماعي، معهد الإنماء العربي، بيروت، ط1، 1976م.
- **ابن مالك (جمال الدين محمد بن عبد الله)**: شرح عمدة الحافظ وعدة اللافظ، تحقيق عدنان الدوري، مطبعة العاني، بغداد، 1977م.
- **المبرد (أبو العباس محمد بن يزيد)**: المذكر والمؤنث، تحقيق: رمضان عبد التواب وصلاح الدين الهادي، دار الكتب، القاهرة، 1970م.
- ____________: المقتضب، تحقيق: محمد عبد الخالق عضيمة، عالم الكتب، القاهرة (د. ت).
- **مجمع اللغة العربية (القاهرة)**: في أصول اللغة، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، القاهرة، 1969م.
- **محمود (إبراهيم)**: الجنس في القرآن، رياض الريس للنشر، لندن، ط2، 1998م.
- **المرزوقي (أحمد بن محمد)**: شرح ديوان الحماسة، نشره أحمد أمين وعبد السلام هارون، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، 1951م.
- **مستغانمي (أحلام)**: ذاكرة الجسد، دار الآداب، بيروت، ط1، 1999م.

- **مسكويه، وأبو حيان التوحيدي**: الهوامل والشوامل، تحقيق أحمد أمين والسيد أحمد صقر، مطبعة لجنة التأليف والترجمة، القاهرة، 1951م.
- **مصلوح (سعد)**: دراسة السمع والكلام، صوتيات اللغة من الإنتاج إلى الإدراك، عالم الكتب، القاهرة، ط1، 2000م.
- **ابن مكي (الصقلي)**: تثقيف اللسان وتلقيح الجنان، تحقيق عبد العزيز مطر، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، القاهرة، 1966م.
- **منا (يعقوب أوجين)**: الأصول الجلية في نحو اللغة الآرامية، منشورات مركز بابل، بيروت، 1975م
- **ابن منظور (محمد بن مكرم)**: لسان العرب، دار صادر، بيروت (د. ت).
- **مهنا (عبد)**: معجم النساء الشاعرات في الجاهلية والإسلام، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1990م.
- **الميداني (أبو الفضل أحمد بن محمد)**: مجمع الأمثال، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الجيل، بيروت، ط2، 1987م.
- **النفزاوي**: الروض العاطر في نزهة الخاطر، تحقيق جمال جمعة، رياض الريس للنشر، لندن، 1990م.
- **نهر (هادي)**: اللسانيات الاجتماعية عند العرب، دار الأمل، اربد، 1998.
- **هرمز (صباح حنا)**: الثروة اللغوية للأطفال العرب ورعايتها، الجمعية الكويتية لتقدم الطفولة العربية، الكويت، 1987م.

- **الهندي (ابن حسام الدين)**: كنز العمال، دار التراث، دمشق، 1976م.
- **وافي (علي عبد الواحد)**: علم اللغة، مكتبة نهضة مصر، القاهرة، 1957م.
- ــــــــــــــــ: اللغة في المجتمع، دار نهضة مصر، القاهرة، ط3، 1971م.
- **ابن وهب (أبو الحسن إسحق بن إبراهيم)**: البرهان في وجوه البيان، تحقيق أحمد مطلوب وخديجة الحديثي، جامعة بغداد، ط1، 1967م.
- **اليازجي (إبراهيم)**: نجعة الرائد وشرعة الوارد في المترادف والمتوارد، ضبطه نديم آل ناصر الدين، مكتبة لبنان، بيروت، ط3، 1985م.
- **ابن يعيش (موفق الدين)**: شرح المفصل، عالم الكتب، بيروت، ومكتبة المتنبي، القاهرة، (د. ت).

الكتب المترجمة:

- **آشار (بيار):** سوسيولوجية اللغة، منشورات عويدات، بيروت، ط1، 1996م.
- **برجشتراسر:** التطور النحوي للغة العربية، ترجمة رمضان عبد التواب، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1982م.
- **بريمو (ناتاليا بريمو):** معجم العلوم الاجتماعية، ترجمة توفيق سلوم، دار التقدم، موسكو، 1981م.
- **سلدن (رامان):** النظرية الأدبية المعاصرة، ترجمة جابر عصفور، دار قباء، القاهرة، ط1، 1982م.
- **سوسور (فرديناند):** علم اللغة العام، ترجمة يوئيل عزيز، بيت الموصل، ط2، 1988م.
- **شوي (أورزولا):** أصل الفروق بين الجنسين، ترجمة بوعلي ياسين، دار التنوير، بيروت، ط1، 1982م.
- **غارمادي (جوليت):** اللسانة الاجتماعية، ترجمة: خليل أحمد خليل، دار الطليعة، بيروت، 1990م.
- **غارودي:** في سبيل ارتقاء المرأة، ترجمة جلال مطرجي، دار الآداب، بيروت، 1982م.
- **فليش (هنري):** العربية الفصحى، ترجمة عبد الصبور شاهين، المكتبة الكاثوليكية، بيروت، ط1، 1966م.

- **فندريس**: اللغة، ترجمة عبد الحميد الدواخلي، ومحمد القصاص، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، 1950م.
- **فوكو (ميشيل)**: نظام الخطاب، ترجمة محمد سبيلا، دار التنوير، بيروت، ط1، 1984.
- **كامبي**: العشق الجنسي والمقدس، ترجمة عبد الهادي عباس، دار الحصاد، دمشق، 1992م.
- **كوندراتوف**: أصوات وإشارات، ترجمة ادور يوحنا، مديرية الثقافة العامة، وزارة الإعلام، بغداد، 1969م.
- **لوكمان (لويس)**: علم اجتماع اللغة، ترجمة أبو بكر باقادر، النادي الأدبي للثقافة، جدة، ط1، 1987م.
- **لويس**: اللغة في المجتمع، ترجمة تمام حسان، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ط1، 1961م.
- **مجموعة كتّاب**: دراسات لغوية في ضوء الماركسية، ترجمة ميشال عاصي، دار ابن خلدون، بيروت، ط1، 1979م.
- **مجموعة من المؤلفين**: مدخل إلى نحو اللغات السامية المقارن، ترجمة: مهدي المخزومي، ومالك المطلبي، عالم الكتب، بيروت، ط1، 1993م.
- **ميلر (سوزانا)**: سيكولوجية اللعب، ترجمة حسن عيسى، عالم المعرفة، الكويت، ع 120، 1987م.

- **هدسون:** علم اللغة الاجتماعي، ترجمة محمود عياد، مراجعة نصر حامد أبو زيد ومحمد أكرم سعد الدين، عالم الكتب، القاهرة، ط2، 1990م.
- **يسبرسن (أوتو):** اللغة بين الفرد والجماعة، ترجمة عبد الرحمن محمد، مكتبة نهضة مصر (د. ت).
- **بيز (آلن):** لغة الجسد، ترجمة سمير شيخاني، دار الآفاق الجديدة، بيروت، 1986م.

الدوريات والمجلات:

- **أقاية (محمد نور)**: المرأة والكتابة، مجلة الوحدة، بيروت، ع9، 1985م.
- **التميمي (أمل)**: المرأة في ظلال الأديان، مجلة تايكي، منشورات أمانة عمان الكبرى، ع6، 2001م.
- **جبران (مي)**: الشخصية الأنثوية، مجلة مواقف، بيروت، ع73-74، 1994م.
- **الخالد (كورنيليا)**: الكفاح النسوي حتى الآن، مجلة الطريق، بيروت، ع2، نيسان، 1996م.
- **شريدة (صالح مهدي)**: العلاقة بين اللغة والمجتمع، مجلة المجمع العلمي العراقي، م25، 1974م.
- **طعمة (طلال)**: علم اللغة الاجتماعي أم الألسنية؟، مجلة الفكر العربي المعاصر، بيروت، ع (7-8)، 1980م.
- **قصاب (وليد)**: الأسلوب والموقف الاجتماعي، مجلة الفيصل - الرياض، ع 97، نيسان، 1985م.
- **المنلا (إبراهيم)**: النسوية من منظور علم اللغة الاجتماعي، مجلة أفكار، عمّان، ع149، 2001م.
- **الموسى (نهاد)**: نحو اللسانيات الاجتماعية في العربية، المجلة العربية للدراسات اللغوية، الخرطوم، ع4، م1، 1985م.

- **نور الدين (عصام)**: المحايد أو المذكر والمؤنث من غير الحيوان، مجلة دراسات عربية، بيروت، ع (7–8)، 1988م.
- **صحيفة الرأي**: عمان، 2001/7/21م

المراجع بغير العربية:

- **Abd -El - Jawad (Hassan)**: Social Functions of Language Variation, Al - Abhath -American University of Beirut, Vol. XXXIV 1986.
- **Adler, (Max)**: Sex Differences in Human Speech. Humburg, 1978.
- **Allergro (John)**: The Sacred Mushroom and the Cross. Hodder Stoughton, 1970.
- **Bernard (Jessie)**: The Female World. New York, 1981.
- **Bloomfeild**: Language. London, 1962.
- **Brekwege (Lia)**: Hesitancy in Female and Male Speech, (Women's Language), U.S.A, 1987.
- **Brouwer and Dorian**: Women's Language Socialization and Self-image. Foris Publications. U.S.A, 1987.
- **Cameron (Deborah)**: Feminist and Linguistic Theory, London, Macmillan, 1985.
- ____________ **(ed)**: The Feminist Critique of Language. London, 1998.
- **Coates (Jennifer):** Women, Men and Language. London, 1986.
- **Dumezil**: Grammaire Comparee. Paris, 1960.

- **Fishman**: The Sociology of Language. New Bury House, 1972.
- **Gesenius**: Hebrew Grammar.Translated by, A.E.Cowely). Oxford University, 1910.
- **Gray (Louis)**: An Introduction to Semitic Comparative Linguistics. Amsterdam, Philo Press, 1971.
- **Lrigray (Luci)**: Language Sexes and Gender (Women's Language), 1987.
- **Miller (Gasey)**: Words and Women, Anchor Press, New York, 1977.
- **Mills (Jan)**: Woman Words (A vocabulary of culture and patriarchal society). London, Virage Press, 1991.
- **Moscati**: An Introduction to the Comparative Grammar of Semitic Language. Weisbaden, 1964.
- **Pride (J.B)**: Sociolinguistic Aspects of Language Learning and Teaching. Oxford University Press, 1979.
- **Rosald: (Michell, Zim-ballst)**: Woman, Culture and Society. Standford University Press, 1974.
- **Safilios (Roths (ed)**: Sociology of Women. U.S.A, 1972.
- **Sepeiser (E.A)**: Studies in Semitic Formative. London, 1970.

- **Shehadeh (Ali)**: Gender Differences and Second Language. Acquisition Research, Journal of Alepp University, vol, 25, 1994.
- **Shibamoto (J.)**: Japanese Women's Language. London, 1985.
- **Showlter (Elaine)**: Toward – Feminist Poetics, 1981.
- **Smith (Philip)**: Language, The Sexes and Society Bosil, Black Well, 1984.
- **Spender (Dale)**: Man Made Language. London, 1980.
- **Susan and Ruth King**: Gender – Based Language (The Feminist) U.S.A, 1998.
- **Thorne, Henley**: Language and Sex Differences and Dominarce (Women's Language), 1987.
- **Wardhaugh (Ronald)**: An Introduction to Sociolinguistcs, Blach well, Oxford, 1992.
- **W.Wright**: Lectures on the Comparative Grammar of the Semitic Language. Cambridge, 1890.
- ______________ :The Grammar of the Arabic Language. Cambridge University Press, 1896.